تصحيح المعتقد ٢٢

# مَعَالِمُ دَعْوَةٍ تتآكَلُ بَلْ تُنْحَرُ !!

صَنَّفَهُ
فضيلة الشيخ الدكتور
أبو عبد الرحمن عيد بن أبي السعود الكيال

مكتبة الكيال
للأبحاث العلمية الشرعية
٠١٠٠٣٩١٥٢٧٠
٠١١٤٥٨٠٩٤٤٧

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٦م

رقم الإيداع
٢٠١٦/٢٥٠٥٢م

الناشر

ش ٨ / الحدود / الهجانة / مدينة نصر /
أول طريق السويس الصحراوي / القاهرة

٠١٠٠٣٩١٥٢٧٠ ❋ ٠١١٤٥٨٠٩٤٤٧

الموقع الإلكتروني : www.alkaial.com

بسم الله الرحمن الرحيم

# « مُقَدِّمَة »

إنَّ الحمدَ لله ، نَحْمَدُه ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله مِن شُرورِ أنفُسِنا ، ومِن سَيِّئات أعمالِنا ، مَن يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومَن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له ، وأشهد أنْ لا إله إلَّا الله ، وَحْدَهُ لا شَريكَ له ، وأشهد أنَّ محمدًا عَبْدُهُ ورسولهُ ﷺ ٠

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]٠

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]٠

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] ، أمَّا بعد :

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كِتابُ الله ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ ، وإنَّ شَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها ، وكُلَّ مُحْدَثةٍ بدعة ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة ، وكُلَّ ضلالةٍ في النار ، أمَّا بعد :

فإنَّ المُتأمِّلَ فِي أحوال الدعوة إلَى الله فِي مِصْرِنا الحبيبة -حَفِظَها الله وصانَها مِن كُلِّ سوء- لَيَجِدُ في جَسَدِ هذه الدعوة جِراحاتٍ قد وَصَلَتْ إلَى الجَوْف فِي مَقْتَل، نَزَفَ الجَسَدُ بِها دَمًا سَيَّالاً، لا يتوقَّف ، قد مُلِئَتْ به طُرقاتُ الدَّعْوَة إلَى الله، لا يراها إلَّا البصير، ولا يُدْرِكُها إلَّا القدير، قد آلَ بِها النَّزيفُ السَّيَّالُ المُسْتَمِرُّ إلَى التَّرَنُّح والتَّخَبُّط، فتلَقَّفَها صِبيانُ أهل السُّنة وغِلْمانُها، يعبثون بِها تارةً، ويُفسِدُونَها تاراتٍ٠

وإنَّما آلَتْ إليهم لِعِلَلٍ وأسباب ؛ مَدارُها علىٰ خَلَلٍ عَقَدِيٍّ ومنهجيٍّ بين الرَّغبة والرَّهبة، قد دَبَّ في جذر قلوب بعض رجال أهل السُّنة ودُعاتِها ٠

**فمنهم**: المصبوغ بالسُّنة ظاهِرًا ، فإذا فَتَّشْتَ عنه باطِنًا ببعض فلتات لِسَانهِ وأفعالهِ وبِطانتهِ ؛ عَلِمْتَهُ علىٰ شفا جُرفٍ هارٍ ينهار به فِي مستنقع البدع والأهواء والضلالات السحيق !

**ومنهم**: المُتَشَبِّعُ بما لَمْ يُعْطَ، ومدارُ أَمْرِهِ علَى التَّزَيُّن بما ليس فيه حِرْصًا علَى الرِّئاسة والظهور وذيوع الصِّيت، وبه يُضَلُّ عامَّةُ طلبة العِلْم مِن ناحية، ومِن الناحية الأخرىٰ يُسْتَغَلُّ بما فيه مِن الخَلَل، فيَحْدُثُ الإفسادُ العامُّ -قَطْعًا- مِن خِلال عُصْبةٍ ماكرين يُغَذُّونَ فيه تَدْلِيسَهُ، فِي منظومةِ مَنفعةٍ خبيثةٍ، عاقِبَتُها علَى المسلمين الخرابُ والوَبالُ الدَّعَوِيُّ !

**ومنهم**: المغلوبُ علىٰ أمره بما قدَّمتْ يداه، يرَى الخللَ، ويعرف كيف يُصلح، ولا يُحرِّك ساكِنًا ٠

**ومنهم**: الظالمُ المُعتدي علىٰ حُقوق الآخَرِينَ ٠

**ومنهم**: الذي يُوَجَّهُ فيتوَجَّهُ، ويُلَقَّنُ فيتلَقَّنُ، ويُهَيَّجُ فيتهَيَّج، ويُحْمَلُ فيُصَارُ به حيث شاء الأبعدُ الخبيث !

**ومنهم**: مَن اشترىٰ بآيات الله ثمنًا قليلًا ٠

**ومنهم**: الوَاجِهَةُ التي تُرْفَعُ شِعارًا لِأَهل السُّنة، وبِها تُهدَم السُّنة !

وأَهلُ السُّنة الَّذين هُم أَهْلُها حَقًّا وصدقًا كالشَّعْرة البيضاء فِي الثَّوْر الأَسْوَد، يُصْلِحُ اللهُ بِهم العِوَج ٠

فلمَّا كان ذلك كذلك، وتشاجَرَتْ فِي صَدْرِي الهمومُ والأحزانُ ؛ جَذَبَنِي قَلَمِي فأَكْتَبَني هذه الكلماتِ، أراد بِها تَغْيِيرَ هذا العَفَنِ الدَّعَوِيِّ الخبيث :

* **الكلمة الأُولىٰ : مَعالِمُ دَعْوَةٍ تَتَآكَلُ ؛ بل تُنْحَرُ !!**
* **الكلمة الثانية : أمانةُ التَّبليغ.**
* **الكلمة الثالثة : تَمْيِيعٌ حَتَّى النُّخاع !**
* **الكلمة الرابعة : وإن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُم.**
* **الكلمة الخامسة : الهَمَجُ الرَّعَاعُ ، و دِفَّةُ الدَّعوة !**
* **الكلمة السادسة : مَكْتَبَةُ الجُبِّ ، وقَلَمُ الشَّظِيَّة !**
* **الكلمة السابعة : طلبة العِلْم بين التَّزْكِيَة والتَّذْكِيَة !**
* **الكلمة الأخيرة : رسالة إلىٰ عُقلاء أهل السُّنَّة.**

وإنِّي رَجُلٌ -يَعْلَمُ اللهُ- عدمَ صبرِهِ علَى المُنكَر، وتَغُيُّظَ قلبِه مِنْ أوْجُهِ الفساد الدَّعَوِيِّ المُسْتَشْرِي العَريض وآثارِهِ الخبيثة علَى الإسلام والمسلمين، وقِلَّةَ حِيلَتِهِ علىٰ تغيير مَن تشَرَّبَتْ قلوبُهم الغِشَّ والدَّخَلَ والغِلَّ، والإفسادَ في الأرض بِاسْمِ الدِّين وحُبَّ التَّرَأُّسِ والشُّهْرَةِ، والتكلُّم في دِين الله قبل أن يحينَ لهم، وحُبَّ السُّكُوت علَى الباطل؛ ولكن ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

واللهُ مِن وراء القَصْدِ ، وهو يَهدي السبيل.

## « الكلمة الأُولَى »

# مَعالِمُ دَعْوَةٍ تَتَآكَلُ ؛ بَلْ تُنْحَر !!

**قال ربُّ العِزَّةِ الحكيمُ العليمُ في مُحْكَم آياته:** ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] ٠

**قال القرطبيُّ في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ١٩٢) :**

(( أيْ: قل يا محمد: هذه طريقي وسُنَّتِي ومِنهاجي، قاله ابنُ زيد ، وقال الربيعُ: هذه دعوتِي، وقال قتادةُ: هذه دينِي، والمعنىٰ واحدٌ ، أي: الَّذي أنا عليه وأدعو إليه يُؤَدِّي إلَى الجَنة، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أيْ: علىٰ يقينٍ وحَقٍّ، ومنه: فلانٌ مُسْتَبْصِرٌ بهذا، ﴿أَنَا۠﴾: توكيد، ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾: عطفٌ على المُضْمَر، ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد: «سُبْحَانَ الله»، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: الذين يتَّخِذُون مِن دُونِ الله أندادًا )) اهـ٠

**وقال الحافظُ ابنُ كثير في «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٢٦٧) :**

(( يقول الله تعالىٰ لعبده ورسوله إلى الثَّقَلَيْنِ الإنسِ والجِنِّ، آمِرًا لَهُ أن يُخْبِرَ النَّاسَ أنَّ هذه سبيله، أي: طريقه ومَسْلَكه وسُنَّته ، وهي الدعوة إلىٰ: شهادة أنْ لا إله إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له، يدعو إلى الله بِها علىٰ بصيرة مِن ذلك ويقينٍ وبرهان، هو وكُلُّ مَن اتَّبعَهُ، يَدْعُو إلىٰ ما دَعَا إليه رَسُولُ الله ﷺ ، علىٰ بصيرةٍ ويقينٍ وبرهانٍ شرعِيٍّ وعقلِيٍّ٠

وقوله: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: وأُنَزِّهُ اللهَ وأُجِلُّهُ وأُعَظِّمُهُ وأُقَدِّسُهُ عن أن يكونَ له شريكٌ، أو نظيرٌ، أو عَدِيلٌ، أو نَدِيدٌ، أوْ ولدٌ، أوْ والدٌ، أو صاحبةٌ، أو وزيرٌ، أو مُشِيرٌ، تباركَ وتعالَىٰ وتَقَدَّسَ وتَنَزَّهَ عن ذلك كُلِّهِ عُلُوًّا كبيرًا، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] )) اهـ٠

**قلتُ: ولَمْ يَخْرُجْ كلامهما عمَّا قاله شيخُ المُفَسِّرِينَ ابنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، وقد رَوَىٰ بِسَنَدِهِ ما ذَكَرَهُ القرطبيُّ مُرْسَلاً، ومنه: ما رواه عن ابن زيدٍ (١٥٨٩٥) أنه قال فِي معنَى الآية :**

(( ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ هذا أَمْرِي وسُنَّتِي ومِنْهاجِي ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ وحَقٌّ -واللهِ- علىٰ مَن اتَّبعَه أن يَدْعُوَ إلىٰ ما دعا إليه، ويُذَكِّرَ بالقُرآنِ والمَوْعِظَةِ، ويَنهَىٰ عن معاصي الله )) اهـ.

**وقال العَلَّامَةُ السعديُّ في «تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المَنَّان» (ص٤٠٦) :**

(( يقول تعالىٰ لنبيه محمدٍ ﷺ ﴿قُلْ﴾ للنَّاس ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ وهي السبيلُ المُوَصِّلَةُ إِلَى الله وإلىٰ دارِ كرامته، المُتَضَمِّنَةُ للعِلْم والعمل به وإيثاره وإخلاص الدِّين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أَحُثُّ الْخَلْقَ والعِبادَ إِلَى الوصول إلىٰ ربهم وأُرَغِّبُهم في ذلك وأُرَهِّبُهم ممَّا يُبعِدُهم عنه، ومع ذلك فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ مِن دِيني، أَيْ: علىٰ عِلْمٍ ويقينٍ، مِن غير شكٍّ، ولا امْتِراءٍ، ولا مِرْيَة، ﴿وَ﴾ كذلك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ يدعو إلى الله -كما أدعو- علىٰ بصيرةٍ مِن أمْرِه ... )) اهـ.

**قلتُ:** فعلَىٰ ضوء ما تقدَّم مِن النُّقُولات في معنَى الآية الجامعة، يُعْلَمُ أنَّ الدعوةَ إلى الله علىٰ بصيرةٍ -التي كان عليها رسولُ الله ﷺ ومَن تَبِعَهُ، وأولُّ التابعينَ صحابتُه المُكرَمون، والتي ينبغي أن يَدْعُوَ بها ويكونَ عليها كلُّ داعيةٍ إلى الله علىٰ بصيرةٍ إلىٰ يوم القيامة- هي الدعوةُ القائمةُ علىٰ أصولٍ:

*** بيان الأصول التي تقوم عليها الدعوةُ إِلَى اللهِ علَى بصيرة :**

**(١) الأصل الأول: أن تقومَ الدعوةُ على العِلْم:**

العِلْم بالكِتاب والسُّنة بفَهْم الصحابةِ الكِرام، ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ، وسارَ علىٰ هَدْيِهِم، واقْتَفَىٰ آثارَهُم، حَذْوَ الْقُذَّةِ بالْقُذَّة.

ثُمَّ العِلْم بما أجمعتْ عليه الأُمَّةُ مِن مسائل الشريعة.

**رَوَى الإمامُ عبدُ الرزَّاقِ الصنعانِيُّ في مُصَنَّفِه (١٢٨٠) عن مَعْمَر عن الزُّهْرِيِّ قال :** (( هذا ما اجتمع عليه الناسُ، وليس في كُلِّ شيءٍ نَجِدُ الإسنادَ )) اهـ٠

وإنَّما يكونُ الوقوفُ علىٰ مَسائل الإجماع صحيحًا عند تحقيق وتحرير هذه المسائل؛ إذِ الكثيرُ مِنها قد ثَبتَ فيه الخِلافُ، مع ادِّعاءِ الكثيرِ الإجماعَ فيه٠

ثُمَّ العِلْم بالقياس، والاسْتِصْحاب، وسَدِّ باب الذَّرائع، والمَصلَحةِ المُرسلَةِ والْعُرْفِ الَّذَيْنِ لا يُخالِفانِ النُّصُوصَ، وكذلك شَرْعُ مَن قَبْلَنا، وكُلّها أدلةٌ شرعيةٌ مُعتبَرةٌ لها دليلُها مِن الكِتاب والسُّنة وعملِ الصحابة الكِرَام، مع الإلْمَام بما يَجِبُ مِن علوم الآلة، كاللُّغةِ والنَّحْوِ والْمُصْطَلَح٠

ثُمَّ العِلْم بأدلة الأحكام مِن القُرآن، ثُمَّ مِن السُّنة، مع معرفة الصحيح منها والضعيف، والوقوف على شُرُوحاتِها خاصَّة، وشُرُوحاتِ السُّنةِ عامَّة٠

ثُمَّ معرفة عِلْم أصولِ الفِقْهِ وقواعدِهِ خاصَّة، فيُعْرَف العامُّ مِن الأدِلَّةِ والخاصُّ، والْمُطْلَقُ والْمُقَيَّدُ، والْمُجْمَلُ والْمُفَسَّرُ، والْمُحْكَمُ والْمُتَشَابِهُ ؛ إذِ الْخَلَلُ في ذلك والتقصيرُ في الإلْمام بهذا العِلْم هو الْمُؤَدِّي إلى الابتداع، فما وَقَعَ مِن الخوارج في بدعتهم إلَّا أنهم أَخَذُوا بعُموم أدلة الوعيد، وتَركُوا ما خُصِّصَتْ به مِن أدلة الوَعْد، وعكسهم الْمُرْجِئَةُ ؛ بل عُمُومُ الفِرَقِ النارِيَّة قد انْحَرَفَتْ مِن عدم حَمْلِ مُطْلَقِ الأدلة علَى الْمُقَيَّد، والعامِّ علَى الخاصِّ، والمُتَشابِهِ علَى المُحْكَم، والمُجْمَل علَى المُفَسَّر، فضَلُّوا وأَضَلُّوا ، كذا قال الشاطبيُّ وغيرُه مِن الأُصُولِيِّين مِن أهل السُّنة٠

**لذلك لمَّا عَرَّفَ الشَّوْكَانِيُّ عِلْمَ الأصولِ -كما في «إرشاد الفحول» (١/ ٥٩)- قال:**

(( هو الْعِلْمُ بالقواعدِ التي يُتَوَصَّلُ بِها إلَى استِنْباطِ الأحْكَامِ الشَّرعِيَّةِ مِن أَدِلَّتِها التَّفْصِيلِيَّة )) اهـ٠

فإن أخطأْتَ في إدراكِ هذه القواعد والعِلْم بِها ؛ كان الاستنباطُ أخْطَأَ وأفسَدَ، وكُلَّما قَلَّ عِلْمُكَ بِها كُلَّما تكلَّمْتَ في دينِ الله بدون عِلْمٍ ولا فِقْهٍ ؛ بلْ لا ينبغي لك التَّكَلُّمُ فيه٠

ثُمَّ بعد ذلك: الإكثارُ مِن قراءة كُتب السُّنَن والآثار؛ فَفِيها الشِّفاءُ مِن كُلِّ داءٍ يهجمُ علىٰ قلبك ؛ وذلك لأنَّ قولَ رسولِ الله ﷺ في الحديث الذي عليه العملُ سَلَفًا وخَلَفًا، وحَسَّنَهُ الترمذيُّ في سُنَنه (٢٦٤١)، وقال شيخُ الإسلامِ ابْنُ تيمية في «مجموع الفتاوىٰ»(٣/ ٣٤٥): «الحديثُ صحيحٌ مشهور»، وحَسَّنَهُ الألبانِيُّ في«الصحيحة»(٢٠٣) وفيه أنه سُئِلَ ﷺ عن الفِرْقة النَّاجِيَة، فقال: (( **مِثْلُ ما أنا عليه اليومَ وأصحابِي** ))٠

فهذا الحديثُ يستلزمُ الإلْمامَ بالسُّنَنِ في شَتَّىٰ أنواع العلوم الشرعية، ولِكَيْ يَفْقَهَ الْمَرْءُ هذا الحديثَ ويُلِمَّ به لا بُدَّ أن يقفَ علىٰ ما كان عليه النبيُّ ﷺ ، وذلك مِن خِلالِ كُلِّ سُنَّتِهِ، وأن يقفَ علىٰ ما كان عليه صحابتُه الكِرَامُ، وذلك مِن خِلالِ الإلْمامِ بسُنَّتِهم وهَدْيِهم الْمُتَمَثِّل في الآثار الصحيحة المَرْوِيَّة عنهم٠

ومِن ثَمَّ ؛ فقد تَوَجَّبَ علىٰ كُلِّ مَن دعا إلى الله علىٰ بصيرةٍ أنه كُلَّما حَلَّ ارْتَحَلَ، كُلَّما انتهَىٰ مِن كِتابِ سُنَّةٍ يدخل في غيره، كذلك هكذا أبدًا٠

**وممَّا ينبغي عِلْمُهُ** : معرفةُ حالِ الْمَدْعُوِّينَ وما يُناسِبُهم والتَّفَقُّهُ فِي أحوالِ المسلمينَ، وطَرْحُ المواضيع التي تهمُّهم وتصلِحُهم، مع النَّظر إلَى الأَهَمِّ فالمُهِمِّ٠

* **والحاصلُ**: لا بُدَّ مِن السَّعْيِ الحَثيثِ إلىٰ إكمال منظومةِ العِلْم التي تقومُ عليها الدعوةُ إلى الله علىٰ بصيرة، فيَنْصَلِحُ حالُ العِبادِ والبِلادِ عَقَدِيًّا وأَخْلاقِيًّا، في العِباداتِ والمُعامَلاتِ ، فقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِى ﴾ معناه -كما مَرَّ- : هذه طريقي وسُنَّتي ومنهاجي ودَعْوَتِي، ولا يُعْلَمُ ذلك إلَّا مِن السُّنَنِ الصِّحاح٠

وقوله تعالىٰ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أيْ: علىٰ عِلْمٍ٠

**قال ابنُ فارسٍ في «مقاييس اللُّغة»** (١/ ٢٥٣-٢٥٤) :

(( «بصر» الباءُ والصادُ والراءُ أَصْلَانِ، أحدهما: الْعِلْمُ بالشيء، يُقالُ: هو بصيرٌ به ...، والبصيرةُ: البرهانُ، وأصلُ ذلك كُلّه وضوحُ الشيء، ... ويقال: بَصُرْت بالشيء: إذا صِرْت به بصيرًا عالِمًا ، وأبصَرْتهُ إذْ رأيتهُ )) اهـ٠

وقوله تعالىٰ: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ أي: أنا ومَن اتَّبعَني أدعُو إلى الله علىٰ بصيرةٍ وعِلْمٍ وبُرْهانٍ، فتَوَجَّبَ علىٰ مَنْ دعا إلىٰ الله أن يَدْعُوَ بدعوةِ رسول الله ﷺ وصحابته الكرام -رَضِيَ الله عنهم أجمعين- وهي الدعوةُ القائمةُ على العِلم.

**(٢) الأصل الثاني: أن تقومَ الدعوةُ على التوحيد :**

والمراد هنا: التوحيدُ بمعناه الشامل، فيدعو إلىٰ توحيد الله، ببيان توحيد الأُلُوهِيَّة، وتوحيد الرُّبُوبِيَّة، وتوحيد الأسماء والصفات.

* **والدعوةُ إلىٰ توحيد منبع الاستدلال**، بحَصْرِهِ علَى الكِتَاب والسُّنة، وما تفرَّعَ منهما مِن الأدلة المذكورة آنِفًا، وهذا يَسْتَلْزِمُ كَسْرَ طاغوتَ العُقول التي تُرَدُّ بِها النُّصُوصُ ؛ لذلك **قال الشاطبيُّ فِي «الموافقات»** (١/ ١٢٥) :

(( فلَا يَسْرَحُ الْعَقْلُ فِي مَجَالِ النَّظَرِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُسَرِّحُهُ النَّقْلُ )) اهـ.

* **والدعوةُ إلى توحيد الفَهْم**، بأن يُفْهَمَ الكتابُ والسُّنةُ بفَهْم الصحابة الَّذِينَ هُم الواسِطةُ بيننا وبين رسول الله ﷺ ؛ فكَما أنه ﷺ هو الواسطةُ بين الناس وبين رَبِّهم، فكذلك الصحابةُ هُمُ الذين نَقَلُوا إلينا مُرادَ الله ورسولِهِ ﷺ ، ثُمَّ مَن تَبعهم بإحسانٍ ؛ فتَعَيَّنَ علينا أَخْذُ الْعِلْمِ عنهم وعمَّن اهتدَىٰ بهَدْيِهم مِن أئمة هذا الدين.

**روىٰ أبو عُمَرَ ابْنُ عبد البر** رَحِمَهُ اللهُ **في «جامع بيان العلم وفضلِه»** (الصحيح) (٧٠٠)، **عن الأوزاعي** رَحِمَهُ اللهُ **إمامِ أهل الشام، قال:** (( العِلْمُ ما جاء عن أصحاب محمدٍ ﷺ ، وما لَمْ يَجِئْ عن واحدٍ منهم فَلَيْسَ بعِلْمٍ )).

**ورَوَىٰ أبو عُمَرَ فِي جامعه أيضًا** (٦٩٣)، **عن ابن مسعودٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **أنه قال:**

(( لا يزال الناسُ بخيرٍ ما أتاهم العِلمُ مِن أصحاب رسول الله ﷺ )).

**ومِن لوازم ذلك:** السَّيرُ بمنهجهم في الاستنباط والفتوىٰ وأصولهما وما قاما عليهما فيما يستجدُّ في دُنْيا الناس، ومِن ثَمَّ ؛ فلَوْ تكَلَّمَ مَن هذا حالُهُ في مسألةٍ -فَرْضًا- لَمْ يتكلَّمْ فيها أصحابُ رسول الله ﷺ ، فسيقول بمثل قولهم ؛ لأنه استنبطَ بمنهجهم، فتشابَهَتْ كلماتُهُ وكلماتُهُم لا محالة.

* **والدعوةُ إلىٰ توحيد الجماعة** ؛ ففي رواية لحديث الافتراق، لمَّا سُئل عن الفِرقة الناجية قال: (( **الجماعة** )) ، وتفسيرها فِي اللفظة الأخرىٰ: (( **مثل ما أنا عليه اليومَ وأصحابِي** )) فهي جماعة المسلمين التي لا جماعة غيرها، وغيرُها فِرَقٌ وفُرْقَةٌ، والمعنىٰ هُنا: عدم التَّفَرُّق والتَّحَزُّب وأن يجتمعَ الدُّعاةُ علىٰ ما كانت عليه الجماعةُ وهُم أصحابُ محمدٍ ﷺ ، وهذا حسمٌ لمادَّة الخِلافِ والتفرقِ بالكُلِّية .

وذلك لأنَّ الفِرْقَةَ النَّاجِيةَ هي الجماعة، والجماعةُ فِرْقَةٌ واحدةٌ، لا فِرَقَ، ولا أحزابَ، فمَن تفرَّقَ وتحزَّبَ فليس علىٰ هَدْيِ الجماعة، ولا منها مِن قريبٍ أو بعيد .

فمَن زَعَمَ أنه علَى الحَقِّ وأنه يدعو إلَى الله علىٰ مِثل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وهو يُخالِفُ في دعوته هذه الجماعةَ الذينَ هُمْ أصحابُ محمدٍ ﷺ ؛ فزَعْمُهُ باطِلٌ مَردودٌ عليه، لا عِبْرةَ له ؛ إذ العِبرةُ في الكلام والعُقود بالمَقاصِد والمَعانِي، لا بالألفاظِ والمَبانِي، وما الألفاظُ إلَّا قوالب للمَعانِي .

فمَن لَمْ يُقِمْ دَعْوَتَهُ علىٰ هَذَيْنِ الأَصْلَيْنِ ؛ فدَعْوَتُهُ دَعْوَةٌ علىٰ أبواب جَهَنَّمَ، يُفْسِدُ بِها في الأرض بِاسْمِ الدِّين .

* **والجماعةُ**: الحقُّ وما وافَقَ طاعةَ اللهِ ورسولهِ ﷺ .

فقد رَوَى اللَّالَكائيُّ فِي «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة» (١٦٠)، عن عَمْرِو بْنِ ميمون أنه قال: قيل لِعَبْدِ اللهِ بْنِ مسعودٍ رضي الله عنه: وكيف لنا بالجماعة؟ فقال لي: (( **يا عَمْرَو بْنَ ميمون: إنَّ جُمْهُورَ الجماعةِ هي التي تُفارِقُ الجماعةَ، إنَّما الجماعةُ ما وافقَ طاعةَ الله ؛ وإن كُنْتَ وَحْدَك** )) .

**قال تعالىٰ**: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ الآية [آل عمران:١٠٣] .

رَوَى اللَّالَكائيُّ أيضًا (١٥٩) عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: (( **يا أيها الناس: عليكم بالطاعة والجماعة، فإنَّهما السَّبيلُ إلىٰ حَبْلِ الله الذي أَمَدَّ به** )) .

**ويُؤَكِّدُ ذلك قوله تعالىٰ**: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥] .

وعامَّةُ كلمةِ المُفسِّرينَ علىٰ أنَّ لفظةَ ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ التي في الآيةِ: المُرادُ بِها صحابةُ رسولِ الله ﷺ وﷺ ، فمَن خَرَجَ عن هَدْيِهم وسبيلهم هَلَك.

**ويُفَسِّرُ ذلك الخَلِيفَةُ الصالحُ عُمَرُ بْنُ عبد العَزِيز رَحِمَهُ اللَّهُ ، فيما رواه عنه اللالَكائيُّ (١٣٤)، وغَيْرُهُ، أنه قال :**

(( سَنَّ رسولُ الله ﷺ ووُلاةُ الأَمْرِ مِن بعدهِ سُنَنًا، الأَخْذُ بِها اتِّباعٌ لِكِتاب الله، واسْتِكْمَالٌ لِطاعَةِ الله، وقُوَّةٌ علىٰ دِين الله، وليس لِأَحَدٍ مِن الخَلْقِ تَغْيِيرُها، ولا تبديلُها، ولا النظَرُ في شيءٍ خالَفَها، مَن اهْتَدَىٰ بها فهو مُهتدٍ، وَمَن استنصرَ بها فهو منصورٌ، ومَن تَرَكَها واتَّبَعَ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ ولَّاهُ اللهُ ما تَوَلَّىٰ، وأَصْلاهُ جَهنمَ، وسَاءَتْ مَصِيرًا )) اهـ ، وبمِثْلِ ذلك يَنْصَلِحُ مُعْتَقَدُ المُسلمينَ.

وكَأنَّه رَحِمَهُ اللَّهُ نَزَعَ بهذه الآية المَذْكُورة.

فهذه مَعالِمُ دَعْوَةٍ سَلَفِيَّةٍ إلَى الله علىٰ بصيرةٍ وفِقْهٍ وعِلْمٍ ، قد تَوَجَّبَ علىٰ كُلِّ الدُّعاةِ إلَى الله الْتِزَامُها، والثَّباتُ عليها، والدعوةُ بِها ولها، والولاءُ لها، والبَراءُ مِن كُلِّ مَن خالَفها.

## * دَعْوةٌ تُنْحَر !! :

ثُمَّ إنَّ الْمُتَأَمِّلَ والْمُتابعَ لدعوة أهل السُّنة في زماننا هذا، لَيَجِدُ ما يَندَىٰ له الجَبينُ، وتنعصر له القلوبُ، وتتشَتَّتُ له الهمومُ وتتفرَّق؛ إذِ الْهَمُّ الذي يُقيمُ عليه الداعيةُ إلَى الله علىٰ بصيرةٍ دَعْوَتَهُ ؛ هو دعوةُ الناس إلىٰ مثل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وصحبُه الكِرَام ﷺ ، أن يدعُوَهُم إلى الجماعةِ الحَقَّة، والهدى المستقيم، والمنهاج القويم، والجَادَّةِ الْمُرادَةِ التي هي واحدةٌ مُوَحَّدَةٌ ؛ ولكِنَّ هذا الْهَمَّ شارَكَتْهُ هُمُومٌ عظيمةٌ، حادَتْ به إلى اللَّاشَيْء، ممَّا تنهدم به دعوةُ أهلِ السُّنة، وتُنْحَرُ بأيْدِي أبنائها !

ووَجْهُ ذلك: تَجِدُهُ فِي هذه الْفُرْقَةِ وهذا التَّحَزُّبِ البغيضِ، والعصبيةِ الْمَمْقُوتَةِ التي دَبَّتْ في صفوف أهل السُّنة، حِزْبيةٌ جديدةٌ، قد رُفِعَ لها شِعارُ الجَماعة !!

## * عَـبَثٌ رهِـيب !! :

وعند التَّحْقِيق، وبالتَّتَبُّع والاسْتِقْرَاء ؛ يُعْلَمُ أنَّ هذه الحِزْبِيَّة قد نشأَتْ مِن بطاناتِ سُوءٍ مِن طَلَبَةِ عِلْمٍ -زعموا- قد أحاطوا بمشايخ أهل السُّنة -إلَّا مَن رَحِمَ اللهُ، وقليلٌ ما هُم- يُفسِدُون الدَّعْوةَ أيَّمَا إفساد، يقومُ إفسادُهم هذا بِاسْمِ الدِّين، علىٰ رُوحٍ شَيْطَانِيَّةٍ، لا عَلاقَةَ لها بالدَّعْوَةِ إلَى اللهِ علىٰ بصيرة٠

**فأولاً**: يُعَظِّمون شَيْخَهم علىٰ أنه شَيْخُ الإسلام، ومَن عَدَاهُ إنْ خالَفَ شيخَهم فهو جاهلٌ أو زَلَّ، ينبغي عليه أن يتبع شيخَهم ؛ وإلَّا فقد رُفِعَتْ رايةُ الوَلاءِ والبَراءِ علىٰ ذلك، ممَّا يُثْمِرُ عصبيةً جاهليةً لا تَمُتُّ بِصِلَةٍ لِمَنهجِ الجَماعةِ الْحَقَّة٠

**ومِن لوازم ذلك** -**حتمًا**-: الدِّفاعُ عن شيخِهم، فيما أخطأ فيه الحَقَّ ؛ دِفاعًا يَنُمُّ عن كِبْرٍ وجُحُودٍ لِلْحَقِّ، وتَشَبُّهٍ بأهل الكتاب الذين قال الله فيهم:

﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ الآية [التوبة: ٣١]٠

**ومن لوازم ذلك**: التَّسْفِيهُ مِن مشايخ أهل السُّنة، وهو أمْرٌ عظيمٌ مُتَّسِعٌ باتِّساعِ الْبِطاناتِ وتَعَدُّدِها٠

وإنَّما يحدثُ ذلك كُلُّهُ علىٰ غير عِلْمٍ للشَّيْخ بما يقوم به هؤلاءِ الطُّلابُ مِن هَدْمِ الدَّعوةِ بجاهليةٍ مُخَرِّبَةٍ هَدَّامَةٍ، تحت رايةِ الشيخ وهو لا يشعر٠

فتَجِدُ لِكُلِّ شيخٍ -علىٰ غير معرفةٍ ولا رِضًى منه- جماعةً مِن المجاهدينَ فِي سبيله هو، لا فِي سبيل الله، يسنُّونَ أَلْسِنَةً حِدادًا علىٰ مَقاهي «الفيس بُورْك» ومواخِيرِه، مَن وافقَهم فهو معهم وحبيبُهم، ومَن خالَفَهُم بالحقِّ والدليل فهو مُجْرِمٌ تَوَجَّبَ عليهم مُحارَبَتُهُ وهَدْمُهُ وتَسْفِيهُهُ وُجُوبًا عَيْنِيًّا، ومَن لَمْ يَدخُلْ فِي حِزْبِهِم؛ فهو الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُ !

**ومِن لَوازِمِ ذلك**: رُكُوبُ مَوْجَةِ النِّفاقِ لا مَحالة ؛ إذِ الأمْرُ حَرْبٌ فِعْلِيَّةٌ عند هؤلاء المُخَرِّبينَ، فيجوزُ فيها الكذبُ والنِّفاق !

**ومِن لَوازِم ذلك**: المُبالغةُ في رفع أقوامٍ مِن المشايخ لا ينبغي لهم هذه الْمَكانةُ ؛ لولا كلماتُ وثناءاتُ هذه الجُنُودِ المُقاتِلَةِ المُجاهِدَة !

وكذلك المُبالغةُ في تسفيه كُلِّ مَن تكلَّمَ علىٰ شيخهم بكلمة حَقٍّ؛ إذْ هُمْ مُتَجَرِّدُونَ لشيخهم، ليس لله ولا للدليل، ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٦]٠

**ومِن لَوازِم ذلك**: السكوتُ علَى الباطل ومُحاربة الحَقِّ٠

وهذا نَقْضٌ لِعُرَى الإسلام٠

**ثانيًا: تَجِدُ هؤلاءِ أنواعًا اجتمعوا على أصولٍ باطلة :**

فمنهم: مَن له انْتِفاعٌ مادِّيٌّ لِأُناسٍ لا يَعْمَلُون، فيُطْعِمُهم مَشايِخُهم، فيشترون بآياتِ الله ثمنًا قليلًا، ويَغُضُّون الطَّرْفَ -قَسْرًا وقَهْرًا- عن كُلِّ ما خالَفَ فيه شَيْخُهم الْحَقَّ ؛ وإلَّا لَانْقَطَعَتْ عنهم الْمَعُونَةُ !

ومنهجُ أهل السُّنة قِيامُهُ بنفْسِهِ حتىٰ لا يُذَلّ٠

**ومنهم**: مَن يبحثُ عن مَجْدِ نَفْسِهِ وتلميعِها وبُرُوزِها وشُهْرَتِها بِانْتِسابه لشيخهِ، فيتعَصَّبُ لا لِشَيْخِهِ ؛ بل لنفْسِهِ ؛ وإن كان الظاهر تعصُّبًا لشيخِه، ولذلك تَجِدُ هؤلاءِ لو حدَثَ بينهم وبين شيخِهم أمْرًا ما ؛ انقلَبوا رَأْسًا علىٰ عَقِبٍ، فإذا بِهِمْ يسنُّونَ أَلْسِنَتَهم علىٰ شَيْخِهم، يُقَطِّعون لَحْمَهُ وعَصَبَهُ، ويُكَسِّرُونَ عَظْمَهُ بالزُّورِ والْبُهْتان، لأنَّ الأَمْرَ عندَهم: بحثٌ عن مَجْدٍ شخصيٍّ، بعيدًا عن الدعوةِ إلَى الله علىٰ بصيرة، وقد حدَثَ هذا بِعَيْنِهِ عند طائفةٍ مِن مشايخ أهل السُّنة هُنا وهُناك، يعرفهم الجميعُ في مصر وخارجها٠

وممَّا حَدَثَ ويَحْدُثُ من الأمور العجيبة: وُجُودُ شِقاقٍ وفُرْقةٍ بين طلبةِ عِلْم كلهم يَنْتَسِبُون إلىٰ شيخٍ واحدٍ، وهو مِن أهل السُّنة، ثُمَّ تَجِدُهُم أَحْزَابًا، يأْكُلُ بعضُهم بعضًا، ويطعنُ بعضُهم بعضًا، علىٰ عكسِ منهجِ شيخِهم، وإن كان ذلك كذلك -واللهُ أَعْلَمُ- لِغِياب الإخلاص فِي الدعوةِ لله الواحد الأَحَد مِن ناحيةٍ، ومِن ناحيةٍ أخرىٰ قيامُ أمرِهم على الجهل، وعدمِ العلمِ، وعدم تحقيقِ مسائلِ الشريعة ؛

لأنَّ العِلْمَ يُهَذِّبُ النُّفُوسَ، ويَنْحُو بصاحبه إلى التَّجَرُّدِ للحَقِّ وعدمِ التَّعصبِ، أمَّا الجاهلُ فليس أمامَهُ إلَّا التقليد الأَعْمَىٰ المذموم، والعصبية التي نُهِينا عنها ؛ إذْ ليس مِن ورائها إلَّا الخراب، ولَرُبَّما يَصْدُقُ عليهم قولُه ﷺ في الحديث الذي رواه مسلمٌ في صحيحه (٥٣/ ١٨٤٨)، وفيه أنه قال: (( **ومَن قاتَلَ تحتَ رايةٍ عُمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أو يدعُو إلىٰ عَصَبَةٍ، أو يَنْصُرُ عَصَبَةً** ...)) الحديث.

وفي رواية (٥٧/ ١٨٥٠) : (( **يدعو عَصَبِيَّةً ، أو يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً** )).

وإنَّما المصيبةُ حق المصيبة: أنَّ طلبةَ اليوم مشايخُ الغَدِ ! وهذا لا يعني إلَّا أنَّ دعوةَ أهل السُّنة تتآكَلُ وتُنْحَرُ بِأَيْدِي أبنائها ! وإلَى الله المشتكىٰ.

ثُم يُشارِكُ في منظومةِ التخريبِ هذه -للأسف الشديد- بعضُ مشايخ ينتسِبُونَ في الْجُمْلَةِ إلىٰ أهل السُّنة، فيعْلَمون ويسكتون، ولِكُلٍّ وِجْهَةٌ هو مُوَلِّيها.

وعليه ؛ فإنه إذا لَمْ يَقُمْ رجالٌ لهؤلاءِ المُخرِّبينَ، فيَكُفُّونَهُم عن إفسادهم؛ لَفَسَدَتْ ونُحِرَتْ -فِعْلاً- دعوةُ أهل السُّنة والجماعة، ثان الحال وفي المآل، لمَّا تَكْثُر وتَعْظُم مثلُ هذه المخالفات، وتُثمِر ثمارَها الْمُنَفِّرَةَ عن كُلِّ خيرٍ، والداعيةَ إلىٰ الشُّرور والآثام.

ولا يعني هذا خُلُوّ الوسَطِ الدَّعَوِيِّ مِن طَلَبة عِلْمٍ حَقِيقِيِّينَ، مُحَقِّقِينَ، علىٰ عِلْمٍ وخُلُقٍ وتقوىٰ ؛ بل الأملُ في الإصلاح مِن خِلالِهم ؛ ولكنَّهم قليلون مُتناثِرون، عَرفوا عظمَ المُصِيبة فاعتَزَلوا هؤلاءِ، أو اعْتزَلَهم هؤلاءِ ؛ حتىٰ لا يُظْهِرُوا عوارَهُمْ ويَفْضَحُوا أمْرَهم، كَثَّرَهُم الله، وبارَكَ فيهم، وهَدَىٰ بِهم، وعَلَّمَهُمْ ما ينفعُهم.

* * * * *

## « الكلمة الثانية »

# أمانة التبليغ

**قال ربُّ العِزَّةِ الحكيمُ العليمُ في مُحْكَم آياتهِ مِن سُورة آل عِمْران :**
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]٠

**قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ في تفسيره (٢/ ١١٦)، عند هذه الآية :**

(( هذا تَوْبِيخٌ مِن الله وتهديدٌ لأهل الكتاب الَّذِينَ أخذ عليهم العهد علىٰ أَلْسِنَةِ الأنبياء أن يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ ، وأن يُنَوِّهُوا بذِكْرِهِ في الناس ليكونوا علىٰ أُهْبَةٍ مِن أَمْرِه ، فإذا أَرْسَلَهُ اللهُ تابَعُوهُ، فكَتَموا ذلك وتَعَوَّضُوا عمَّا وُعِدُوا عليه من الخير فِي الدنيا والآخرة بالدُّونِ الطَّفِيف، والحَظِّ الدُّنْيَوِيِّ السخيف، فبِئْسَتِ الصَّفْقَةُ صَفْقَتُهم، وبِئْسَتِ الْبَيْعَةُ بَيْعَتُهُم٠

وفِي هذا تحذيرٌ للعُلماء أن يَسْلُكُوا مَسْلَكَهُم، فيُصِيبَهم ما أصابهم، ويُسْلَكَ بِهم مَسْلَكَهُم، فَعَلَى العُلماءِ أن يَبْذُلُوا ما بِأَيْدِيهم مِن العِلْمِ النافعِ، الدَّالِّ عَلَى العَمَلِ الصالح، ولا يَكْتُمُوا مِنه شَيئًا )) اهـ٠

**وقال القُرْطُبيُّ فِي «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٢٣٤)، عند هذه الآية :**

(( هذا مُتَّصلٌ بذِكْرِ اليهود ، ثُمَّ مع ذلك هو خَبَرٌ عامٌّ لَهُم ولغيرِهم٠

قال الحسنُ وقتادة: «هي في كُلِّ مَنْ أُوتِيَ عِلْمَ شَيءٍ مِن الكتاب، فمَنْ عَلِمَ شيئًا فلْيُعَلِّمْهُ، وإيَّاكُم وكِتْمانَ العِلْم؛ فإنه هَلَكَة»٠

وقال محمدُ بْنُ كَعْبٍ القُرَظِيُّ: «لا يَحِلّ لِعَالِمٍ أن يَسْكُتَ علىٰ عِلْمِهِ، ولا للجاهل أن يَسْكُتَ علىٰ جهله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية»٠

وقال أبو هُرَيْرَة : « **لولا ما أَخَذَ اللهُ علىٰ أهل الكتاب ما حَدَّثْتُكُم بِشَيْءٍ** » ، ثُمَّ تلا هذه الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية )) اهـ٠

**وقال السعديُّ في تفسيره (ص١٦٠) :**

(( الميثاقُ هو العهدُ الثقيلُ المُؤَكَّد، وهذا الميثاقُ أَخَذَهُ الله تعالىٰ علىٰ كُلِّ مَن أعطاهُ [اللهُ] الكتبَ، وعلَّمه العِلْمَ، أن يُبَيِّنَ للناس ما يحتاجون إليه ممَّا علَّمَهُ الله، ولا يكتمهم ذلك ويبخل عليهم به، خُصُوصًا إذا سألوه، أو وَقَعَ ما يُوجِبُ ذلك ؛ فإنَّ كُلَّ مَن عنده عِلْمٌ يَجِبُ عليه في تلك الحال أن يُبَيِّنَهُ، ويُوَضِّحَ الْحَقَّ مِن الباطل.

فأمَّا المُوَفَّقُونَ فقاموا بِهذا أَتَمَّ القِيام، وعلَّموا الناسَ ممَّا علَّمهم الله، ابتغاءَ مَرضاةِ رَبِّهِم، وشَفَقَةً علَى الْخَلْقِ، وخوفًا مِن إِثْمِ الكِتْمان )) اهـ.

**قلتُ:** بل الأمر أشدُّ وأعظمُ، فقد قال الْمَلِكُ سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

**قال ابنُ كثير في تفسيره (١/ ٢٩٧) :**

(( هذا وَعِيدٌ شديدٌ لِمَن كَتَمَ ما جاءت به الرسلُ مِن الدلالات الْبَيِّنة علَى المَقاصِدِ الصحيحةِ والْهُدَى النافعِ للقلوب ، من بعد ما بيَّنه اللهُ تعالىٰ لعباده في كُتبهِ ، التي أنزلها علىٰ رُسُلِه.

قال أبو العالية: «نزلتْ في أهل الكِتاب، كَتَمُوا صِفَةَ محمدٍ ﷺ ، ثُمَّ أخبر أنَّهم يلعنهم كُلُّ شيءٍ علىٰ صَنِيعِهم ذلك، فكما أنَّ العَالِم يَسْتَغْفِرُ له كُلُّ شيءٍ ؛ حَتَّى الحُوتُ فِي الماء، والطَّيْرُ فِي الهواء، فهؤلاءِ بخِلافِ العُلماء الذينَ يَكْتُمُون، فيَلْعَنُهم الله، ويلْعَنُهم اللاعِنُون».

وقال عطاءُ بْنُ أَبِي رَبَاح: «كُلُّ دَابَّةٍ والْجِنُّ والإنسُ».

وقال قتادةُ والرَّبِيعُ بْنُ أنسٍ: «يعني تلعنهم ملائكةُ الله، والمؤمنون».

وجاء فِي هذه الآية: أنَّ كاتِمَ العِلْمِ يَلْعَنُه اللهُ والملائكةُ والناسُ أجمعون، واللاعِنُون أيضًا، وهُم كُلُّ فَصِيحٍ وأَعْجَمِيٍّ، إمَّا بِلسانِ المَقالِ، أو الحال.

وقد وَرَدَ فِي الحديث المُسْنَد مِن طُرُقٍ يَشُدُّ بعضُها بعضًا، عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيرِهِ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَن سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكَتَمَهُ ؛ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِلِجامٍ مِن نار**» )) اهـ.

**قلتُ**: وهو حديثٌ رواه أحمدُ في المسند (٨٥١٤ ، ١٠٣٧٠ ، ٧٥٦١ ، ٧٩٣٠ ، ٨٠٣٥، ٨٦٢٣)، وابنُ ماجه في سُنَنِهِ (٢٦١)، وأبو داودَ في سُنَنِهِ (٣٦٥٨)، والترمذيُّ في سُنَنِهِ (٢٦٤٩) وقال: «حديثٌ حسن»، وقال الذهبيُّ في الكبائر: «إسناده صحيح»، ورَمَزَ السيوطيُّ إلىٰ صحته في الجامع الصغير (ح:٨٧٣٢)، كما في فيض القدير للمناوي (٦/ ١٩٥)، وقال في شرح الحديث: (( «**أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِن نارٍ**» أيْ: أُدْخِلَ في فِيهِ لِجَامًا مِن نارٍ مُكافأةً له علىٰ فِعْلِهِ ؛ حيث أَلْجَمَ نَفْسَهُ بالسكوتِ في محل الكلام ، فالحديث خرَجَ علىٰ مُشاكَلَةِ العُقوبة للذَّنْب ؛ وذلك لأنَّ الله أَخَذَ الميثاقَ علَى الذينَ أُوتُوا الكتابَ لَيُبَيِّنُنَّهُ للناسِ ولا يكتمونه ، وفيه حَثٌّ علىٰ تعليم العِلم ، لأنَّ تَعَلُّمَ العِلْمِ إنَّما هو لِنَشْرِهِ ودعوةِ الخَلْقِ إلَى الحَقِّ، والكاتِمُ يُزاوِل إبطالَ هذه الحكمة، وهو بعيدٌ عن الحكيم المُتْقِن ؛ ولهذا كان جزاؤه أن يُلْجَمَ تشبيهًا بالحيوان الذي سُخِّر ومَنَعَ من قصد ما يريده، فإنَّ العِلم شأنه دعاء الناس إلَى الحق وإرشادهم إلَى الصراط المستقيم )) اهـ.

**وقال الْمَوْلَىٰ -جَلَّ وَعَلا-** : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

**قال الحافظُ ابنُ كثيرٍ في تفسيره (٦/ ٢٢١) :**

(( يَمْدَحُ تبارَكَ وتَعالَى ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أيْ: إلىٰ خَلْقِهِ، وَيُؤَدُّونَها بأماناتِها، ﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾ أيْ: يَخافُونهُ، ولا يَخافُون أحدًا سِوَاهُ، فلا تَمْنَعُهم سَطْوَةُ أَحَدٍ عَنْ إبْلاغِ رِسالات الله تعالىٰ، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ أيْ: وكَفَىٰ باللهِ ناصِرًا ومُعِينًا.

وَسَيِّدُ النَّاسِ في هَذَا الْمَقَام -بَلَىٰ، وَفِي كُلِّ مَقَامٍ- مُحَمَّدٌ رسولُ الله ﷺ فإنه قام بِأداءِ الرِّسَالَةِ وإبْلاغِها إلىٰ أهلِ الْمَشَارِق وَالْمَغَارِب، إلىٰ جميعِ أنواعِ بَنِي آدَم ...

ثُمَّ وَرِثَ مَقامَ الْبَلاغِ عنه أُمَّتُهُ مِن بَعْدِهِ، فَكان أَعْلَىٰ مَن قام بِها بَعْدَهُ: أصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، بَلَّغُوا عنه كما أَمَرَهُمْ به، في جَمِيعِ أقوالِهِ وأفعالِهِ وأحوالِهِ، في لَيْلِهِ وَنَهاره، وَحَضَرِهِ وَسَفَرِهِ، وَسِرِّهِ وَعَلانِيَتِهِ، فَرَضِيَ اللهُ عنهم وأرضاهم، ثُمَّ وَرِثَهُ كُلُّ خَلَفٍ عَنْ سَلَفٍ إِلَىٰ زَمانِنا هذا، فَبِنُورِهِم يَقْتَدِي الْمُهْتَدُونَ، وعلىٰ مَنْهَجِهِمْ يَسْلُكُ الْمُوَفَّقُونَ، فَنَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ الْمَنَّانَ أَنْ يَجْعَلنا مِنْ خَلَفِهِم.

رَوَى الإمامُ أحمدُ في مُسندِهِ عن أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُم نَفْسَهُ أَن يَرىٰ أَمْرًا للهِ فيه مقالٌ؛ ثُمَّ لا يقول، فَيقُولُ الله: ما يَمْنَعُكَ أَن تَقُول فيه؟ فَيقُول: رَبِّ، خَشِيتُ النَّاسَ، فَيَقُول: فأنا أَحَقُّ أَن يُخْشَىٰ**» )) اهـ.

**أقول:** هذا الحديثُ رواه أحمدُ فِي مُسْندِهِ (١١١٩٤)، وابنُ ماجه في سُنَنه (٤٠٠٨) في «كتاب الفِتن»، وحُقَّ له أن يَرْوِيَهُ في «كتاب الفتن»، قال البوصيري في «الزوائد» عند الحديث (٤/ ٣٦٢): «هذا إسنادٌ صحيحٌ، ورِجَالُهُ ثِقاتٌ»، ورَواهُ الْبَيْهَقِيُّ في «السُّنَنِ الكُبرىٰ» (١٠/ ٩٠-٩١).

**أقول:** بل الأَمْرُ يَصِلُ إِلَىٰ دَرَجَةِ الخِيانَةِ للأمانة ؛ لو قَصَّرَ العالِمُ فِي التَّكَلُّم بما يَعْلَمُ مِمَّا يَنْصَلِحُ به حالُ المسلمينَ ؛ لوجوب البيان والتحذير، قال تعالىٰ: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]، فبعُموم لفظ هذه الآية، لا بخُصُوص السَّبَب ؛ يَعْلَمُ الْحَصِيفُ مسئوليةَ التَّبليغ وعِظَمَ النُّقُوصِ عنها.

**وقال تعالىٰ:** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

**قال القُرْطُبي في تفسيره (٧/ ٢٨٣):**

(( والخيانةُ: الْغَدْرُ وإخفاءُ الشيء ؛ ومنه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ [غافر: ١٩]، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «**اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك مِن الجُوعِ فإنه بِئْسَ الضَّجِيعُ، ومِن الخِيانة فإنَّها بِئْسَتِ الْبِطانَةُ**»[1].

---

(١) رواه ابنُ ماجه في سُنَنه (٣٣٥٤)، قال البوصيري في «الزوائد» (٤/ ٥٠): « هذا إسنادٌ ضعيفٌ، كَعْبٌ: هو الْمَدَنِيُّ، مجهولٌ تَفَرَّد بالرواية عنه ليثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، وهو ضعيفٌ ».

**والأماناتُ**: الأعمالُ التي ائْتَمَنَ اللهُ عليها العِبادَ، وسُمِّيَتْ أمانةً لِأَنَّها يُؤْمَنُ معها مِن مَنْعِ الْحَقِّ؛ مأخوذة مِن الأَمْن، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أيْ: ما فِي الخيانة مِن القُبْح والعار )) اهـ٠

**وقال تعالىٰ**: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤]٠

**قال القُرطبيُّ فِي جامعِه (١٠/ ٤٦) :**

(( قوله تعالىٰ:﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أيْ: بالذي تُؤمر به، أيْ: بَلِّغْ رِسالةَ اللهِ جميعَ الْخَلْقِ لِتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَيْهم ، فقَدْ أَمَرَكَ اللهُ بِذلك٠

**والصَّدْعُ**: الشَّقُّ، وتَصَدَّعَ القومُ: أيْ: تفرَّقوا، ومنه:﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] أيْ: يَتَفَرَّقون، فقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ قال الْفَرَّاءُ: أراد فَاصْدَعْ بالأَمْر، أيْ: أَظْهِرْ دِينَكَ، وقال ابنُ الأعرابي: معنَىٰ ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أيْ: اقصد٠

**وقيل**: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أيْ: فَرِّقْ جَمْعَهُم وكَلِمَتَهُم، بأن تدعوهم إلَى التوحيد، فإنَّهم يَتَفَرَّقون بأن يُجِيبَ البعضُ، فيرجع الصَّدْعُ علىٰ هذا إلى صَدْع جماعة الكُفار )) اهـ٠

**قلتُ**: ومِن ثَمَّ ؛ فإنَّ الصَّدْعَ بالْحَقِّ يُفَرِّقُ جماعةَ الباطل، والصَّدْعُ بالسُّنة يُفَرِّقُ جماعةَ البدعة ويُزَلْزِلُها٠

**وقال ابنُ كثيرٍ فِي تفسيره (٤/ ٣٤٨) :**

(( يقول تعالىٰ آمِرًا رسولَهُ -صلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عليه- بإبلاغ ما بَعَثَهُ به، وبإنفاذه والصَّدع به، وهو مُوَاجَهَةُ المُشْرِكِينَ به، كما قال ابنُ عباسٍ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أيْ: أَمْضِه، وفي روايةٍ: افْعَلْ ما تُؤمَر )) اهـ٠

**وقال السعدي فِي تفسيره (ص٤٣٥) :**

(( ثُم أمَرَ اللهُ رسولَهُ أن لا يُبالي بِهم، ولا بغيرهم، وأن يصدع بما أمر الله، ويُعْلِنَ بذلك لِكُلِّ أَحَدٍ، ولا يُعَوِّقَنَّهُ عن أَمْرِهِ عائِقٌ، ولا تَصُدَّهُ أقوالُ الْمُتَهَوِّكِينَ، ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أيْ: لا تُبالِ بِهم، واتْرُكْ مُشاتَمَتَهُم ومسابَّتَهُم مُقْبِلاً علىٰ شأنك٠

**ثُمَّ قال تعالىٰ:** ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ بِكَ وَبِمَا جِئْتَ به، وهذا وَعْدٌ مِن الله لرسوله أن لا يَضُرَّهُ المُستهزِئُون، وأن يَكْفِيَهُ اللهُ إيَّاهُم بما شاء مِن أنواع العُقُوبة )) اهـ.

وكذلك مَن بَلَّغَ عن الرسول ﷺ .

فهذه آياتٌ بيِّناتٌ تتصدَّعُ لها قلوبُ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، رَغَبًا ورَهَبًا، وتَتَفَطَّرُ لها صُدُورُ الدُّعاةِ إِلَى الله علىٰ بصيرةٍ، فَرَقًا وَنَصَبًا، فيَنْتَصِبُونَ عند سماعِها والإنصاتِ لها، لله رَبِّ العالمينَ، مُبلِّغينَ بالنِّذارةِ والْبِشارة، بالتحذير والتبيين، يتتبعون الْخَلَلَ لِيُصْلِحُونَهُ ، ويَلْتَمِسُونَ الثُّلَمَ ثُلْمَةً ثُلْمَةً في جدار الدعوة ؛ فيُعالجون الشُّقُوقَ فيه لِيُقِيمُونَهُ ؛ فلا يَنْقَضَّ ؛ فيَدْرَأُونَ الضَّعْفَ عنه، فيستقيمُ ويَثْبُتُ ثباتَ الراسِخِينَ وإنَّما تُؤْتَى الدعوةُ مِن ثُغورٍ شَتَّىٰ، وَجَبَ علينا بيانُها لحماية الدِّينِ، والتحذيرُ منها.

*** الثغرات التي تُؤتَى منها الدعوةُ إلَى الله :**

**فمنها: ثَغْرَةُ التكفيرِ والخروجِ علَى الحُكَّامِ والتَّحَزُّب،** فيقوم الخوارجُ التكفيريُّون والإخوانُ والحِزْبِيُّون دعاةً علىٰ أبواب جَهنمَ مِن جِلْدَتِنا ويَتكَلَّمُون بأَلْسِنَتِنا، فيقولون: قال الله، قال رسوله، قال الصحابة ...! وَهُم يَهْدِمُون شعائِرَ الدِّيانة شَعِيرةً شَعِيرةً، ويَنقُضُون عُرَى الإسلام عُرْوَةً عُرْوَةً بِاسْمِ الشَّرِيعةِ والشَّرْعِيَّةِ والسَّلَفِيَّةِ والسُّنِّيَّة، وَهُم مِن أبعد الناس عمَّا يَدْعُونَ بِاسْمِهِ وإليه.

ومِن عباءَةِ هؤلاءِ تخرجُ كُلُّ الشُّرُورِ مِن الإرهابِ، والتفجيرِ، والدَّمِ، والهَدْمِ، فيُطْعَنُ في كُلِّ الدِّيانة مِن كُلِّ حَدبٍ وصَوْبٍ، وتُسَنُّ الأَلْسِنَةُ، وتُشْحَذُ الأَقْلامُ ؛ وتَقَعُ علَى الأُمَّةِ الطَّوَامُّ، كُلُّ ذلك بسبب هذه الطائفة.

**ومنها: ثَغْرَةُ العَلمانِيَّةِ واللِّيبْرَالِيَّةِ،** وهَدْم الدِّيانَة بِطَاغُوتِ العُقُول، التي تَرُدُّ الكِتابَ والسُّنَّةَ والإجْمَاعَ، وتَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإلْحَادِ والرِّدَّة تحت مُسَمَّى: «الوَسَطِيَّة والاعتدال» ! وتَطعَن فِي الأحاديثِ ورِجالِهَا، وفِي الإسنادِ،

فيقومُ العَلمانِيُّون اللِّيبْرَالِيُّون قَوْمَةَ رَجُلٍ واحدٍ علىٰ قَنَوَاتِهِم الفضائية، لا لِشَيْءٍ إلَّا لِهَدْمِ الدِّيانة، مُسْتَعِينينَ في ذلك -حتىٰ تكتملَ الخَدِيعةُ- بِرِجالٍ ظاهِرُهُم أنَّهم مِن أهلِ العِلْم، وهُم شياطينُ مَرَدَة! فيصبغون الكُفْرَ بالإيمانِ، والبدعةَ بالسُّنَّةِ زُورًا وبُهْتانًا وكَذِبًا، وهُم مع ذلك يَسْتَمِدُّون إلْحادَهُم وضلالَهم ممَّا يفعله التكفيريون الإرهابيون، ويطعنون في الدِّيانة مِن بَوَّابَتِهِم الكُبرىٰ، مُسْتَعِينينَ في ذلك بعِلم الكَلامِ والفَلْسَفَةِ والمَنْطِقِ الذي به يُهْدَمُ الدِّينُ هَدْمًا.

**ومنها: ثغرةُ التَّصَوُّفِ والغُلُوِّ فيه** ؛ حتىٰ تُعْبَدَ مِن دون الله آلهةٌ شَتَّىٰ، وهو مُناخٌ مُناسِبٌ وبِيئَةٌ مُمَهّدَةٌ لِتَلَقِّي المذهبِ الشِّيعِيِّ الرَّافِضِيِّ بالْقَبُول، الذي يُنكِرُ القُرآنَ والسُّنةَ وشعائِرَ الإسلام، كما يقول الصُوفِيُّ الضَّالُّ الْهُالِكُ: «حَدَّثَنِي قلبي عن رَبِّي» فيَلْتَقُونَ مع العَلمانيين في رَدِّ الكتابِ والسُّنَّةِ والإجماعِ، والْكُلُّ يصبغُ ضَلالَهُ بِصِبْغَةٍ شَرْعِيَّةٍ دِينِيَّةٍ، لِتَجِدَ الصَّدَىٰ في نُفُوسِ عَوامِّ المسلمينَ.

**ومنها: ثغرةُ المُوَاطَنَةِ ورَفْعِ شِعارِ التَّجْمِيعِ الْمُطْلَقِ لِلْفِرَقِ الْمُختلفة** تحت رايةٍ شيطانيةٍ تدخلُ تحتها كُلُّ طَوائفِ المجتمع: الكافر والمسلم، والسُّنِّيُّ والرَّافِضِيُّ والمُبْتَدِعُ وأهلُ الأهواء بِتَعَدُّدِ طَوائفِهم: الْقَدَرِيَّة، والْجَهْمِيَّة، والْمُعْتَزِلَة، والأَشاعِرَة، وغيرهم، حيث لا وَلاءَ وَلا بَرَاءَ، وقَدْ قام الحُبُّ والْبُغْضُ، والْمُوَالاةُ والْمُعادَاةُ ؛ علىٰ غير ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، المنهجِ الْحَقِّ، والطريقِ المستقيمِ، والسبيلِ القويم.

**ومنها: ثغرةُ التَّمْيِيعِ والوهنِ والضَّعْفِ في تطبيق شريعة الفرقة الناجية** ، قد عُرِفَ بِها الكثيرُ مِمَّن يَنْتَسِبُون إلىٰ أهل السُّنَّةِ والجماعة ، فتجدهم يُظْهِرُونَ بعضَ مَسائلِ المنهجِ الْحَقِّ ، وغالبُ مَسائلِهِ يسكُتُون عنها.

منهم مَن كانت عِلَّةُ سُكُوتِهِ «الرغبةُ في دعوة الآخَرين»، حتىٰ كاد أن يذهبَ معهم فيُخالِطَهُم ويُجالِسَهم ويُماشِيَهُم ، حتىٰ عُرِفَ بِذلك مِن كثرة مُباشَرَتِهِ له.

ومنهم مَن دَفَعَهُ الْخَجَلُ الشَّيْطانِيُّ لِلْمُيُوعَةِ والْخُنُوثَةِ فِي تطبيقِ المنهجِ، ومِثْلُ هؤلاءِ مِن السهل جِدًّا أَن ينحَرِفُوا عن الجَادَّةِ ويَضِلُّوا ٠

ومنهم مَن يُفكِّر بِعَقْلِيَّةِ التُّجار، لا يريد أن يَخْسَرَ أحدًا، لا إلىٰ هؤلاءِ، ولا إلىٰ هؤلاءِ، مُذَبْذَبُونَ، مُدَلِّسُونَ، غَشَّاشُونَ ... تجارةٌ خاسرةٌ !

*** مُرْتَزَقَةُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ الجُهَلاء يُصَنِّفُون النَّاسَ !! :**

وفِي خِضَمِّ هذه الْمَهْلَكَةِ ؛ يغيبُ منهجُ التحذيرِ والتبيين، ويعلو منهجُ الْمَصالِحِ والْمَفاسِدِ القائِمَةِ علَى الدُّنيا، لا علَى الدِّين، فتُنْقَضُ عُرَى الإسلامِ، وتَتَفَرَّقُ أَشْلاءً مُمَزَّقَةً، وتتَبَعْثَرُ شعائِرُهُ هَدَرًا ٠

ثُمَّ تَجِدُ هناك طائفةً جَهُولَةً مُتَعالِمَةً، لا تَحْفَظُ كتابَ اللهِ -واللهِ- ولَمْ تُحَقِّقْ مِن مسائلِ الشَّرِيعةِ والدِّيانة مَسْأَلَتَيْنِ؛ قد نَصَّبَتْ مِن نَفْسِها الْحَكَمَ علَى الأشخاصِ والمَشايخِ مِن غير الرجوع إلىٰ مشايخِ أهلِ السُّنةِ، صِبْيانٌ يَعْبَثُون لا كبيرَ لهم؛ بل كُلُّهم كِبارٌ جَهابذةٌ !! فيجعلون هذا شيخًا جليلًا، وهذا طُوَيْلِبَ عِلْمٍ، وهذا الشيخ لا يُؤْخَذُ منه عِلْمٌ، وهُم لا يحفظون فِي مُصْطَلَحِ الحديثِ قاعدةً، ولا يُحْسِنُونَ التَّفْرِيقَ -أصلاً- بين السُّنِّيِّ والمُبْتَدِع، تَجِدُهُم يَتَغَوَّطُون مِن أفواههم فِي صفحاتِ الإنترنت !

وعلىٰ ضَوْءِ هذه الْمَعْجَنَةِ ؛ نَشَأَتْ طوائفُ مِن طُلَّابِ العِلْم، خَالَطَ قلوبَهم هذا التَّشْوِيهُ الْمَنْهَجِيُّ وأَثَّرَ فيهم قَوْلاً وفِعْلاً ومُعْتَقَدًا، قد بُثُّوا في صفوف أهل السُّنة، منهم حَسَنُ النِّيَّة الذي لا يعلم، ومنهم الماكِرُ الخبيث، ومنهم الإمَّعَة، ومنهم الْمَصْلَحِيُّ الْمُرَائِي، ومنهم المُبتدعُ الْمُتَخَفِّي الذي دُسَّ لِتفريقِ صَفِّ أهلِ السُّنة، واخْتلَطَ الحابلُ بالنَّابِل، والسُّنِّيُّ بالمبتدع، والحَقُّ بالباطل، وفَسَدَت الأجواءُ وحَدَثَ التَّلْبِيسُ، وتَكَوَّنَتْ منظومةُ فسادٍ مُكْتَمِلَةٌ، تضرب بِجُذُورِها تحت جدار الدعوة السَّلَفية، تأتيه مِن القواعد، تنخر فيه كالسُّوس والجرذان والفئران التي نَخَرَتْ سَدَّ سَبَإٍ فأَضعَفَتْهُ، حتىٰ إذا أَتَى السَّيْلُ فأَهْلَكَ الْحَرْثَ والنَّسْلَ تبعًا ٠

فأَزْعَجَني الأمْرُ وأَرَّقَني جِدًّا، لا سِيَّما أنَّ الكثيرَ مِن منظومة الفساد تلك قد تَحايَلُوا ومَكَرُوا ؛ حتَّى اخْتلَسُوا ثِقَةَ مشايخهم فيهم، وسَرَقُوا وُدَّهُم ؛ لِمَا يُجِيدُونَهُ مِن إحسانِ ظاهِرِهم بالقَوْلِ والفِعْل ! وهُم أصْلٌ مِن أُصُولِ الْفِتَنِ والشُّرُور التي تقعُ فِي طُرُقاتِ الدعوةِ السَّلَفِيَّة، وتُفْسِدُ بين مشايخِ أهلِ السُّنة، الَّذينَ هُم أهلُ السُّنَّةِ حَقًّا.

ثُمَّ تَجِدُ هذه المنظومةَ الإفساديةَ يجمعُهم وَلاءٌ وبَراءٌ ونُصْرَةٌ ومُعاوَنَةٌ وشَدُّ أَزْرٍ ورَوَابِطُ مَصْلَحِيَّةٌ تَصِلُ بين أفرادِها الْمُتفَرِّقِينَ فِي المُدُنِ والْقُرىٰ ، يُقَوِّي بعضُهم بعضًا، تَجِدُهم جميعًا وقلوبُهم شَتَّىٰ، قد وُجِدَ بينهم الْبُغْضُ والْحِقْدُ والْمُنافَسَةُ وسِجَالٌ يظهر فيهم بين الحين والآخَر، غالِبُ أَمْرِهِم قد قام علىٰ أهدافٍ شخصيةٍ، وشِلَلِيَّةٍ بَغِيضَةٍ، قد توجد في أيِّ مجالٍ مِن مجالاتِ الدُّنيا والتنافسِ فيها، ولا ينبغي -بِأَيِّ وَجْهٍ مِن الوجوهِ- أن توجد في صُفُوفِ الدَّعوةِ إلَى الله تحت شِعَارِ: « مِثْل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه » ؛ ولكن وُجِدَتْ فتَوَجَّبَ التَّصَدِّي لِهؤلاءِ الشياطين.

فلمَّا شُوِّهَتْ الدَّعْوَةُ إلَى الله مِن وُجُوهٍ عِدَّة، وبالتتبُّعِ والاسْتِقْراءِ لِمَا يَحْدُثُ في الواقعِ يُعْرَفُ هذا، تَعَيَّنَ علىٰ مَن خَبَرَ أَمْرَ هؤلاءِ أن يُبيِّنَ ويُحَذِّرَ، لا سِيَّما لو عُلِمَ مِن أمْرِهِم ما لا يَظُنُّون هُم أنَّ أحدًا يعرفه سِواهم، وما أُبِيحَ للضَّرُورَةِ يُقَدَّرُ بِقَدْرِها ؛ لِصَلاحِ الدعوة إلى الله، فَلَوْ تَوَجَّبَ ذِكْرُهُم بأسمائهم لِتَطْهِيرِ الدَّعْوةِ مِن الخَبَثِ والفساد، ولإكْمالِ التحذيرِ والتبيين؛ لَكَانَ ذلك -بإذْنِ اللهِ تعالىٰ- للخُروجِ مِن مُسْتَنْقَعِ الفسادِ وبَراثِنِ الْمُخَرِّبينَ ؛ أداءً للأمانة، ودَرْءًا للخيانةِ للهِ وللرسولِ وللمؤمنين، وخَوْفًا مِن الوُقُوفِ بين يَدَيِ اللهِ تعالىٰ لِلْمُسَاءَلَة، ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤].

ولو اسْتَلْزَمَ ذلك مِنِّي الكِتابةَ المُفَصَّلَةَ في مُصَنَّفٍ يَجُوبُ الأمْصَارَ والقُرىٰ، لا آلُو جُهْدًا ؛ حتىٰ يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، ويَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ.

* * * * *

## « الكلمة الثالثة »

# تمييع حتى النخاع

*** بيان كيفية ذهاب الدِّين :**

روَى ابنُ ماجه في سُننه (٤٠٤٨) في «كتاب الفتن»، باب: «ذهاب القرآن والعلم»، والحاكمُ في «المُسْتَدْرَك» (٣٣٨، ٣٣٩) وصحَّحه، ووافقه الذهبِيُّ في «التلخيص»، عن أبي الدرداء ﷺ قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ فشَخَصَ بِبَصَرِهِ إلى السَّماء ثُمَّ قال: (( **هذا أَوَان يُخْتَلَسُ العِلْمُ مِنَ الناس حتىٰ لا يَقْدِرُوا منه علىٰ شيء** ))، فقال زِيادُ بْنُ لبيدٍ الأنصارِيُّ: «يا رسولَ الله، وكيف يُخْتَلَسُ مِنَّا وقد قرَأْنا القُرآنَ؟! فَوَاللهِ، لَنَقْرَأَنَّهُ ولَنُقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنا وأبناءَنا»، فقال ﷺ : (( **ثكلَتْكَ أُمُّكَ يا زِياد، إنْ كنتُ لَأَعُدُّكَ مِن فُقهاء المدينة ! هذه التَّوْرَاةُ والإنجيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ والنَّصَارَىٰ، فمَاذَا يُغْنِي عنهم؟** )).

وفي رواية ابن ماجه: (( **أَوَلَيْسَ هذه اليهود والنصارىٰ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةُ والإنجيلَ، لا يعملون بشيءٍ ممَّا فيهما ؟!** )).

**قال السِّنْدِيُّ في «شرح السُّنَن»** (٥/ ٣٨٣) : (( قوله: «**لا يعملون بشيءٍ ممَّا فيهما**» أي: ومَنْ لا يعملُ بعِلْمِهِ هو والجاهلُ سَوَاء )) اهـ.

فهذه واحدة ، فاجعلها علىٰ ذُكْرٍ مِنك إلىٰ حين.

ثُم أَتْبَعَ ابنُ ماجه هذا الحديثَ بحديثٍ لِحُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ ﷺ (٤٠٤٩)، قال: قال رسولُ الله ﷺ : (( **يَدْرُسُ الإسلامُ كما يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ ، حتىٰ لا يُدْرَىٰ ما صِيامٌ ولا صلاةٌ ولا نُسُكٌ ولا صَدَقَةٌ ، ولَيُسْرَىٰ علىٰ كتاب الله في ليلة ، فلا يبقىٰ في الأرض منه آيةٌ ، وتبقىٰ طَوَائِفُ مِنَ الناس ، الشيخُ الكبير ، والعَجُوزُ ، يقولون: أَدْرَكْنَا آباءَنا علىٰ هذه الكلمة: لا إله إلا الله ، فنحن نقولها** )).

قال البوصيري في «الزوائد»، عند الحديث: «هذا إسنادٌ صحيحٌ، رِجالُهُ ثِقات» اهـ.

وقوله ﷺ : (( **يَدْرُسُ الإسْلامُ** )) يعني: تُنقصُ عُراهُ كُلُّها ، ولا يبقىٰ منه غير كلمة التوحيد.

ثُمَّ أَتْبَعَ ابنُ ماجه هذَيْنِ الحَدِيثَيْنِ بثالثٍ (٤٠٥٠)، وهو الحديث الذي رواه البخاريُّ في صحيحه (٧٠٨٦)، ومسلمٌ (٣٦٥)، مِن حديث عبد الله بْنِ مسعودٍ، وأبِي موسىٰ رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (( **إنَّ مِنْ وَرائكم أيامًا ينزل فيها الجهلُ، ويُرْفَعُ فيه الْعِلْمُ، ويكثر فيها الْهَرْجُ** )) ، قالوا: يا رسولَ الله، وما الْهَرْجُ؟ قال: (( **القَتْل** )).

وروىٰ مسلمٌ في صحيحه (١٤٨) في «كتاب الإيمان»، مِن حديث أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ : (( **لا تَقُومُ السَّاعَةُ علىٰ أَحَدٍ يَقُولُ: الله ، الله** )).

وفِي رواية: (( **حتىٰ لا يُقالَ فِي الأرض: الله ، الله** )).

وفِي روايةٍ عند مسلمٍ، ذَكَرَها القاضي عِياض فِي كِتابه «المُعْلِم»:

(( **حتىٰ لا يُقالَ فِي الأرض: لا إله إلا الله** )).

وروىٰ مسلمٌ في صحيحه (٢٩٤٩) من حديث عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : (( **لا تقومُ الساعةُ إلَّا علىٰ شِرار الناس** )).

وقد يأتِي فِي خُلْدِكَ الحديثُ المُتَّفَقُ علىٰ صحته، الذي رواه البخاريُّ فِي صحيحه (٣١١٦)، ومسلمٌ (١٩٢٣)، بروايات كثيرةٍ عن معاوية رضي الله عنه وطائفةٍ مِن أصحاب رسول الله ﷺ أنه ﷺ قال: (( **لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتِي ظاهرينَ علَى الحق ، لا يضرهم مَنْ خالَفَهُم ، ولا مَن خَذَلَهُم ، حتىٰ يأتِيَ أمْرُ الله وهُم علىٰ ذلك** )).

**قال أبو العباسِ القُرطبيُّ في «المُفهِم»** (١/ ٢٥٤/ح: ١١٧) :

(( ولا يُعارِض هذا قوله -عليه الصلاةُ والسلام-: «**لا تزالُ طائفةٌ مِنْ أُمَّتِي ظاهرينَ علَى الحَقِّ إلى يوم القيامة**» لأنَّ هذه الطائفةَ يقاتلون الدَّجَّالَ، ويجتمعون بعيسىٰ عليه السلام ثُمَّ لا يزالون علىٰ ذلك إلىٰ أنْ يقبضَهم الله بالرِّيح اليَمَانِيَّة التي لا تُبْقِي مُؤْمِنًا إلَّا قَبَضَتْهُ ، فيبقىٰ شِرارُ الْخَلْقِ بَعْدَهُم ، ليس فيهم مَن يقول: «الله ، الله»، يتَهارَجُونَ تَهارُجَ الْحُمُر ، فعَلَيْهِم تَقُومُ السَّاعة )) اهـ.

فإذا كان ذلك كذلك ؛ فقد تَوَجَّبَ علىٰ طلبة العِلْم أنْ يعرفوا سَبَبَ دُرُوسِ الإسلام ونَقْضِهِ عُرْوَةً عُرْوَةً ؛ لِتَتَكَوَّنَ منهم -علىٰ ما ينبغي عملُه- كَتَائِبُ تُجَاهِدُ بالحُجَّةِ والبيانِ فِي سبيل الله ، نصرًا للدِّينِ ودِفاعًا عنه.

ومنهجُ أهلِ السُّنة والجماعةِ: فَهْمُ الكِتاب والسُّنة بفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّة، وهُمْ الصحابة رضي الله عنهم ومَن تَبِعَهُم بإحسانٍ مِنَ القُرونِ الثلاثةِ الأُوَل.

إذًا ؛ دُرُوسُ الدِّينِ وذهابُه أعظمُ المصائبِ علَى الإطلاق ، وإنْ لَمْ يُبحَثْ في أسبابِ دُرُوسِ العلمِ وذهابِه ففي أيِّ شيءٍ يتكلَّمُ أهلُ العِلم ؟!

وقد عَلِمَ أهلُ الحَلِّ والْعَقْدِ أنَّ أَعْلَمَ الصَّحَابة بالفِتَن وخَبِيرَها، هو حُذَيْفَةُ بْنُ اليَمانِ رضي الله عنه، فقد روىٰ عنه الإمامُ الحافظُ أبو عبد الله محمدُ بْنُ وَضَّاحٍ القُرطبيُّ (ت٢٨٧هـ)، في كتابه «البدع والنهي عنها» (١٥٥) تحت باب: «نقْض عُرَى الإسلام ودفْن الدِّين وإظهار البدع»، عن أبِي وائل، عن حذيفةَ رضي الله عنه أنه أَخَذَ حَجَرَيْنِ فوَضَعَ أحدَهُما علَى الآخَر، ثُمَّ قال لأصحابه : (( **هل ترون ما بين هذَيْنِ الحَجَرَيْنِ مِنَ النُّور؟** ))، قالوا : «يا أبا عبد الله، ما نرىٰ مِنَ النور إلَّا قليلًا !» ، قال: (( **والذي نفسي بيده، لَتظْهرَنَّ البِدَعُ حتىٰ لا يُرىٰ مِنَ الْحَقِّ إلَّا قَدْرَ ما ترون ما بين هذَيْنِ الحَجَرَيْنِ، واللهِ، لَتَفْشُوَنَّ البدعُ حتىٰ إذا تُرِكَ منها شيءٌ قالوا: تركت السُّنة** )).

ثُم أتبعه ابْنُ وَضَّاحٍ بأثَرٍ آخَرَ (٥٦) عن أبِي الطفيل، عن حذيفةَ رضي الله عنه أنه أَخَذَ حصاةً بيضاءَ فوضَعَها في كَفِّهِ ، ثُمَّ قال: (( **إنَّ هذا الدِّينَ قد استضاء إضاءَةَ هذه** ))، ثُمَّ أَخَذَ كَفًّا مِن تُرابٍ، فجَعَلَ يَذْرُوهُ علَى الحَصاةِ حتىٰ وَارَاها، ثُمَّ قال: (( **والذي نفسي بيده، لَيَجِيئَنَّ أقوامٌ يَدْفِنُونَ الدِّينَ كما دُفِنَتْ هذه الحصاة، ولَيسلكنَّ طريق الذين كانوا مِن قبلكم، حَذْوَ الْقُذَّةِ بالْقُذَّة ، وحَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْل** )).

وروَى اللالَكائِيُّ فِي «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة» (١٩٦)، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (( **إيَّاكُمْ وما يُحْدِثُ الناسُ مِنَ البدع، فإنَّ الدِّينَ لا يذهبُ مِنَ القلوبِ بِمَرَّةٍ ، ولكنَّ الشيطانَ يُحْدِثُ له بِدَعًا حتىٰ يخرجَ الإيمان مِن قلبه،**

**ويُوشِكُ أنْ يَدَعَ الناسُ ما أَلْزَمَهُم اللهُ مِن فَرْضِهِ فِي الصَّلاةِ، والصِّيامِ، والحَلالِ، والحَرام، ويتكلَّمون فِي رَبِّهِم ﷻ ، فمَن أَدْرَكَ ذلك الزَّمَانَ فلْيهربْ ))٠**

قيل: يا أبا عبد الرحمٰن، فإلىٰ أين ؟

قال: (( **إلىٰ لا أيْنَ ! يهرب بقلبه ودِينِهِ ، ولا يُجالِس أحدًا مِن أهلِ البدع** ))٠

وروىٰ أبو عبد الله محمدُ بْنُ نصرٍ الْمَرْوَزِيُّ (ت٢٩٤هـ) في كتابه «السُّنة» (١٠) عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه قال : (( **ما مِن عامٍ إلا يحيا فيه بدعةٌ ، ويُماتُ فيه سُنةٌ ، حتىٰ تحيا البدعُ وتموتَ السُّنَنُ** ))٠

فيموتُ الدِّينُ ؛ لأنَّ الدِّينَ هو السُّنَنُ ، حتىٰ تقومَ الساعةُ على شِرارِ الناس ، وإنَّما يكون ذلك بالبدعة وأهلها ، ومِن هنا اشتدَّتْ وَطْأَةُ السَّلَفِ علَى المبتدِعِينَ ، لأنهم هادِمُو شعائر الإسلام ، وناقِضُو عُرَاه٠

**روَى الْمَرْوَزِيُّ في «السُّنة» (٩٢) عن عُمَرَ بْنِ عبدِ العزيز رحمه الله أنه قال:**

(( لو كان بِكُلِّ بدعةٍ يُمِيتُها الله علىٰ يدي ، وكُلِّ سُنَّةٍ يُنْعِشُها الله علىٰ يدي ، بِضْعَةٌ مِنْ لَحْمِي ؛ حتىٰ يأتِيَ ذلك علىٰ نفسي ، لَكانَ فِي الله يسيرًا )) اهـ٠

**قال الإمامُ ابنُ القَيِّم في «مَدارِكِ السالكِينَ»** (١/ ٣٧٢) :

(( ولِهذا اشتدَّ نكيرُ السلفِ والأئمةِ للبدعة، فصاحوا بأهلها مِن أقطارِ الأرض، وحَذَّرُوا فِتْنَتَهُمْ أشدَّ التحذير، وبالَغُوا في ذلك ما لَمْ يُبالِغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعُدْوان ؛ إذْ مَضَرَّةُ البدعِ وهَدْمها للدِّينِ ومُنافاتها له أشَدُّ )) اهـ٠

**وقال أبو الوفاء ابْنُ عقيلٍ البغداديُّ، شيخُ الحنابلة وعالِمُهم** (ت٥١٣هـ)، **فِي كِتابه «الفنون»** (١/ ١٠١)، **فقرة** (١٣٠) :

(( كما لا يَحْسُنُ فِي سياسة الملك الْعَفْوُ عَمَّن سَعَىٰ علَى الدَّوْلَة بالخُرُوج علَى السُّلْطان ؛ لا يَحْسُنُ أيضًا أن يُعْفَىٰ عمَّن ابْتَدَعَ فِي الأَدْيان ؛ لِأَنَّ فسادَ الأديانِ بالابتداع كَفَسَادِ الدُّوَلِ بالخُروج علَى الملك والاسْتِتْباع، فالمُبْتَدِعُون خَوارجُ الشرائع )) اهـ٠

**وروَى ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٤٥-٣٤٦) عن الإمام الأوزاعِيِّ أنه قال:**

(( اتقوا الله يا معشرَ المسلمِينَ، واقبلوا الناصحِينَ وعِظَةَ الواعظِينَ، واعلموا أنَّ هذا الْعِلْمَ دِينٌ فانظروا ما تصنعون، وعمَّن تأخذون، وبِمَنْ تقتدون، ومَنْ علىٰ دِينكم تأمَنُون، فإنَّ أهلَ البدعِ كُلَّهُم مُبْطِلُونَ أَفَّاكُونَ آثِمُونَ لا يَرْعَوُونَ، ولا ينظرون، ولا يَتَّقُون، ولا مَعَ ذلك يُؤْمَنُونَ علىٰ تحريفِ ما يسمعون، ويقولون ما لا يعلمون في سَرْدِ ما يُنكرون، وتسديد ما يفترون، والله محيطٌ بما يعملون.

فكونوا لهم حَذِرِينَ مُتَّهِمِينَ رافضينَ مُجانِبِينَ، فإنَّ علماءَكم الأوَّلينَ ومَنْ صَلَحَ مِنَ المُتأَخِّرينَ كذلك كانوا يفعلون ويأمرون، واحذروا أن تكونوا علَى الله مُظاهِرينَ ولِدِينِهِ هادِمينَ، ولِعُراهُ ناقضينَ ؛ بِتَوْقِيرِ المُبتدِعِينَ والمُحدِثينَ، فإنه قد جاء في توقيرهم ما تعلمون، وأيُّ توقيرٍ لهم، أو تعظيمٍ أشدُّ مِن أن تأخُذُوا عنهم الدِّينَ، وتكونوا بِهم مُقْتَدِينَ، ولهم مُصَدِّقِينَ مُوادِعِينَ مُؤَالِفِينَ، مُعِينينَ لهم بما يصنعون علَى اسْتِهْوَاءِ مَن يَسْتَهْوُونَ، وتأليفِ مَن يتَأَلَّفُونَ مِن ضُعفاء المسلمِينَ لِرَأْيِهِم الَّذي يَرَوْن، ودِينِهِم الَّذي يَدِينُونَ، وكفىٰ بذلك مشاركةً لهم فيما يعملون )) اهـ.

وهذا غَيْضٌ مِن فَيْضٍ، وقليلٌ مِن كثير، يعلم به الحصيفُ الفَطِنُ ؛ بَلْه، بليدُ الفِكْرِ وبادِي الرَّأْيِ، خُطورةَ أهل البدع والأهواء علَى الإسلام والمسلمين، وأنه مِنْ أجَلِّ الأعمال: التَّكَلُّمُ فِي المُبتدِعة، وفضحُهم، وتبيينُ أمرِهم بتعيينهم بالاسْمِ والرَّسْمِ؛ لِيَحْذَرَ المسلمون علىٰ دِينهم مِنَ الهَلاك والضياع مِنْ خَوَارِجِ الشرائع المارِقِينَ الهَدَّامِينَ لِعُرَى الإسلام.

وهذا الذي أفعله منذ أن هدانِي الله لمنهج أهل السُّنة والجماعة، بكل وسيلةٍ دعوية: علَى المنابر، وفي الدروس، وبالتصنيف، فقد منَّ الله عليَّ بتصنيف أكثر مِن أربعينَ مُصَنَّفًا، منها: ثلاثون مُصَنَّفًا للرَّدِّ علىٰ أهل الأهواء، ودَحْضِ شُبَهِهِم وحُجَجِهِم الباطلة، وقد عَلِمَ عني ذلك القريبُ والبعيدُ والصغيرُ والكبيرُ مِن أهل العِلْم وطَلَبَتِهِ، ولله الحمدُ والمِنَّة.

*** لن تَلْقَى اللهَ بعملٍ يُشْبِهُ التكلُّمَ في أهل الأهواء:**

**روَى ابْنُ وَضَّاحٍ الإمامُ في كتابه «البدع والنهي عنها» (٧) عن أسد بن موسَى بن إبراهيم، أسد السُّنة (ت٢١٢هـ)، إلىٰ أسد بن الفرات أبِي عبد الله الْحَرَّانِيِّ (ت٢١٣هـ)، فقال له -واستمع بقلبك- :**

(( اعْلَمْ -أيْ أخي- إنَّما حَمَلَني علَى الكِتاب إليك ما ذَكَرَ أهلُ بلادِكَ مِنْ صالِح ما أعطاك الله مِنْ إنصافِكَ الناسَ وحُسْنِ حالِكَ، ممَّا أظْهَرْتَ مِن السُّنة، وعَيْبِكَ لِأَهْلِ البِدَعِ، وكثرةِ ذِكْرِكَ لهم، وطَعْنِكَ عليهم، فقَمَعَهُمْ الله بك، وشَدَّ بك ظَهْرَ أهل السُّنة، وقوَّاكَ عليهم بإظهار عَيْبِهِمْ والطعنِ عليهم، فأَذَلَّهُمْ الله بذلك، وصاروا بِبِدْعَتِهِمْ مُسْتَتِرينَ، فأَبْشِرْ -أيْ أخي- بثواب ذلك واعْتَدَّ به أفضلَ حسناتِكَ مِنَ الصلاةِ والصيامِ والحجِّ والجهاد.

وذُكِرَ -أيضًا- : أنَّ لله عند كُلِّ بدعةٍ كِيدَ بها الإسلامُ ؛ وَلِيًّا لله ؛ يَذُبُّ عنها، وينطقُ بعلاماتِها، فاغْتَنِمْ يا أخي هذا الفضلَ، وكُن مِنْ أهلِهِ، وادْعُ إلَى السُّنة ؛ حتىٰ يكونَ لك في ذلك أُلْفَةٌ وجماعةٌ يقومون مقامَكَ؛ إنْ حَدَثَ بك حادِثٌ، فيكونون أئمةً بعدَك، فيكون لك ثوابُ ذلك إلىٰ يوم القيامة، كما جاء في الأثر.

فاعمل علىٰ بصيرةٍ ونِيَّةٍ حسَنةٍ، فيَرُدّ الله بك المبتدِعَ الْمَفْتُونَ الزائغَ الحائدَ، فتكون خَلَفًا عن نبيِّكَ ﷺ ، فإنك لن تلقَى الله بعملٍ يُشْبِهُه.

وإيَّاكَ أن يكونَ لك مِن أهل البدع أَخٌ أو جَلِيسٌ أو صاحِبٌ، وقد وَقَعَتِ اللَّعنةُ مِن رَسُولِ الله ﷺ علىٰ أهل البدع، وأنَّ الله لا يَقْبَلُ منهم صَرْفًا ولا عَدْلًا ولا فريضةً ولا تطَوُّعًا، وكُلَّما ازْدَادُوا اجتهادًا وصومًا وصلاةً ازْدَادُوا مِنَ الله بُعْدًا، فَارْفُضْ مجالسَهم وأَذِلَّهُمْ وأبْعِدْهُمْ كما أبعَدَهُمُ الله، وأَذَلَّهُم رسولُ الله ﷺ ، وأئمَّةُ الْهُدَىٰ بعدَه )) اهـ.

**وروَى اللالَكائيُّ في «شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة والجماعة» (٢٥٦) عن قَتادَةَ ابْنِ دعامة السّدوسِيِّ أنه قال:**

(( إنَّ الرَّجُلَ إذا ابتدَعَ بدعةً ، ينبغي لها أنْ تُذْكَرَ ؛ حتىٰ تُحْذَرَ )) اهـ.

**وقال شيخُ الإسلام ابْنُ تيمية فِي «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٣١) :**

(( ومثل أئمة البدع مِن أهل المقالاتِ المُخالِفَةِ للكتاب والسُّنة، أو العباداتِ المُخالِفَةِ للكِتاب والسُّنة، فإنَّ بيانَ حالِهم، وتحذيرَ الأُمَّةِ منهم ؛ واجبٌ باتِّفاق المسلمينَ )) اهـ٠

فرُحْتُ أقومُ بِهذا الواجب شمالاً وجنوبًا، شرقًا وغربًا، فِي القُرَىٰ والأمْصار، ابتداءً مِن مسجدي، فإذا أنا بجُيوشٍ مِنَ الْمُمَيِّعِينَ الْمُخَنَّثِينَ الْبَطَّالِينَ ! الذينَ أُشْرِبَتْ قلوبُهم حُبَّ السكوتِ علَى الباطل، وكُرْهَ الصَّدْعِ بالحَقِّ، وتمحيصِ صُفوفِ أهلِ السُّنة ؛ لِيَمِيزَ اللهُ الخبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، ويُعْلَمَ السُّنِّيُّ مِنَ المبتدع، ومُقِيمُ السُّنَنِ مِنْ هادِمِها، فإذا بي أكْتَشِفُ أنَّ جُلَّ طلبةِ العِلْم -إلَّا مَن رَحِمَ اللهُ، وقليلٌ ما هُمْ- مع طُولِ لِحَاهُمْ وزَعْمِهم أنَّهم مُحِبُّونَ للسُّنة، وتَمَسُّكِهم بالْهَدْيِ الظاهِر؛ عند الْمَحَكِّ الْعَمَلِيِّ تَجِدُهُم خواءً هَباءً منثورًا، ليسوا علىٰ شيءٍ، وَهنٌ وضعفٌ وخُنُوعٌ وذُلٌّ، كُلُّ ذلك مُغَطًّى ومستورٌ بادِّعاءاتٍ وشعاراتٍ وأقوالٍ تُخالِفُ الأفعالَ ؛ حتىٰ يَصِلَ الأَمْرُ إلَى النِّفاقِ والكَذِبِ فِي بعض الأحيان !

وإنَّما يتجَلَّىٰ ذلك ويَنْكَشِفُ عندما أُصَرِّحُ بأسماء أهلِ الأهواء، وأُسَفِّهُهُمْ وأُظْهِرُ عَوَرَهُمْ، وأُبَيِّنُ ما هُمْ عليه مِنَ الضَّلال، وهُمْ كُثُرٌ في بلدِنا، وسائرِ بلاد المسلمين، فعَلَىٰ رَأسِهِم دُعاةٌ علىٰ أبوابِ جَهَنَّم، أئمةٌ يُقْتَدىٰ بِهم في الزَّيْغ والضلال: **أبو إسْحٰق الْحُوَيْنِي، محمد عبد المقصود، محمد حسَّان، مصطفَى الْعَدَوِيُّ، محمد حسين يعقوب، محمد المُقَدّم، ياسر برهامي، سعيد عبد العظيم، أحمد فريد، أحمد النَّقِيب، فوزي السعيد ، سيد العربي، حسن أبو الأشبال، وحيد عبد السَّلام بالي، وجدي غُنيم، يوسُف القرضاوي، عبد الرحمٰن عبد الخالق**، وأَذْيالُهُم مِمَّن عرَفَهمُ الناسُ، فأُصَرِّحُ بضلالهم تفصيلًا، وأنهم السَّبَبُ فيما فيه الأُمَّةُ الآنَ مِنَ الهلاكِ المُبينِ فِي أنحائها، فِي سُوريا واليمن وليبيا، وغيرها مِنَ البُلْدان التي هَلَكَتْ بِسَبَبِ فتاوىٰ هؤلاءِ الدَّمَوِيَّةِ التي أخْرَجَتِ المسلمينَ علىٰ حُكَّامهم حتىٰ دُمِّرَتْ بلادُهم؛ حتىٰ عَلِمَ القاصِي والدَّانِي، والصَّغيرُ والكبيرُ، أنَّهمُ الْمُفسِدُونَ فِي الأرض٠

فتَجِدُ شَبابَ أهْلِ السُّنَّة !! في حالةٍ مُخْزِيَةٍ مِنَ التَّمْيِيعِ حتَّى النُّخاع ؛ أَثَّرَتْ فيهم دعوةُ أهل البدع القائمة علَى القَصَص والرَّقائق مِن غير تأصيلٍ ولا تبيينٍ لِمَنهج أهل السُّنة والجماعة، قال تعالىٰ: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ ﴾ [يس: ٣٠] !!

فلمَّا تأَمَّلْتُ في هذه الحالة الْمُفْزِعَة ؛ وجدتُ أنَّ سَبَبَ ذلك في لوازم الصَّدْعِ بالحَقِّ، وما يترتَّبُ عليه مِن الْمَشَقَّةِ والأذَى الدُّنيوِيِّ، فيُفَضِّلُ الرَّجُلُ منهم الْخِزْيَ والعارَ علىٰ مُوَاجَهَةِ النَّتائِج والثِّمار النَّابِعَة مِن إقامة السُّنةِ والدِّفاعِ عنها ؛ فإنه لا يقومُ بالسُّنَّةِ الْمُخَنَّثُونَ.

وما كان ذلك كذلك إلَّا لِضَعْفٍ وهَوانٍ في درجة الإيمان بالقلوب، وسُوءِ الظنِّ بالله، وعدمِ التَّوَكُّل عليه، والخوفِ مِنَ الناسِ، لا مِنَ الله ﷻ، ولَرُبَّما لِابْتداعٍ خَفِيٍّ يَظْهَرُ عند الصَّدْمَةِ الأُولىٰ، تَجِدُهُ مَصْرُوعًا في هَوىٰ رُؤوسِ الابتداع ؛ إذا تكلَّمَ فيهم أحدٌ، فالخبيثُ منهم لا يُبْصِرُ صَرْعَتَهُ إلَّا البصيرُ، ولقد صَدَمْتُ العشراتِ منهم ابتداءً فِي مسجدي، وطَرَدتُّهم شَرَّ طردة، وما أزال كذلك إلىٰ أن يتوَفَّانِي اللهُ تعالىٰ.

*** مثالٌ عمليٌّ حزين :**

ولقد أَلَحَّ عليَّ بعضُ طلبة العِلْم مِن مُحافَظة **الشَّرقية** إلْحاحًا شديدًا برغبةٍ قويةٍ لِأَذْهَبَ إليهم درسًا أُسبوعيًّا لتعليم المنهج الْحَقِّ بإذن الله، فذهبْتُ إلىٰ هذه المُحافَظة، ابتداءً في مدينة **الزَّقازِيق**، وبدأتُ معهم دَرْسًا في أحد المساجد، فبَعْدَ دَرْسَيْنِ طُرِدْنا مِنَ المسجد، فاختار الإخوةُ مسجدًا آخَرَ، طُرِدْنا منه أيضًا بعد درسَيْنِ!

وقد علمتُ أنَّ هذه المحافظةَ فيها أكثر مِن ألفِ مسجدٍ، ببلبيس، والزقازيق، والشرقيةِ بِقُراها، ما استطاعَ الإخوةُ تَهْيِئَةَ مسجدٍ واحدٍ، مع رغبتهم القويَّة في ذلك، وجُلُّ المساجدِ خاضعةٌ للتكفيريِّينَ والإخوانِ والحزبيِّينَ !!

وهذا أمرٌ عظيمٌ ومُؤَشِّرٌ فاجِعٌ خطر، فهؤلاءِ الإخوةُ في بلدِهم الذي وُلِدُوا فيه ؛ ما اسْتطاعوا في سنين عُمرِهم أن يكونَ لهم مسجدٌ يُقِيمُونَ فيه السُّنةَ، فإذا أتَوْا بشيخٍ مِن مشايخِ السُّنةِ ؛ استطاعَ أن يَجِدَ له مِنبرًا لتبليغ السُّنة.

أمَا استطاعَ جماعتُهم شراءَ مِائَةِ مِتْرٍ يُقِيمون عليه أمْرَ دِينهم بمسجدٍ صغيرِ الحجم، كبيرِ القِيمةِ والْمَنْزِلَة ؟! أليس فيهم رجلٌ فتحَ الله عليه بالمال، يجعلها لله، فيجمع أهلَ السُّنة علىٰ بيتٍ مِن بيوت الله ؟!

إلىٰ هذه الدرجة وصلَ بِهم حبُّ الدنيا والمال ؟! فأيُّ سُنَّةٍ تَنْتَسِبُون إليها ؟!

فانقطعتُ لمَّا رأيتُ هذا الهَوانَ، وهذا الهُراءَ، وهذا الخُنوعَ ، وهذه السَّيطرةَ الشديدةَ لأهل البدع علىٰ مساجد المسلمين في بلدٍ بأكمله !

ثُم اتَّصلَ بي بعضُ الإخوةِ الحَرِيصِينَ علىٰ إقامة السُّنة في قريةٍ مِن قُرَى الشَّرقية تُدْعَى «الإبراهيمية»، وألَحُّوا في حضوري، فَلِرَغْبتهم ورغبتي في إقامة السُّنة؛ ذهبتُ فمَكَثْتُ معهم ثلاثةَ دُروسٍ؛ حتىٰ كان الدرسُ الرابعُ، فذكَرتُ اسمَ «**مصطفَى الْعَدَوِيِّ**» ، وقد ذَكَرتُ أسماءَ المُبتدِعة كُلِّهم في الدُّروس الثلاثة الأُوَل ؛ فإذا بمبتدعٍ يجلسُ في الدَّرس يزعمُ أنه مِن أهل السُّنة ، فتعَصَّبَ لِمَشايخه، فذَكَّرْتُهُ بأثَرِ أبي بكرٍ ابْنِ عَيَّاشٍ، الجميل الشديد، لمَّا سُئِلَ: مَن السُّنِّيُّ ؟ فقال: « **السُّنِّيُّ: الذي إذا ذُكِرَتِ الأهواءُ لَمْ يتعصَّبْ لِشَيْءٍ منها** » [رواه الآجُرِّيُّ في الشريعة (٢١١٢)] ، فَكُبِتَ الذي ابتدعَ وطاشَ.

وكنتُ حريصًا جدًّا علىٰ نَشْرِ كُتُبي، التي أَفْضَحُ فيها أهلَ الأهواء، في رحلتي إلَى الشَّرقية في كُلِّ المساجد المذكورة، وانْتَشَرَ منها الكثيرُ، ولله الحمدُ والْمِنَّة، وكان لِهذا الانتشارِ الأثر الشديد في توَقُّفِ دَرْسِي الَّذي لا آخُذُ فيه دِرْهَمًا ولا دِينارًا .

ثُمَّ بعد هذا الدرسِ الأخير، ومع أول مُوَاجَهةٍ وتَكَلُّمٍ لأهل الأهواء ؛ أَوْقَفَ القائمُ علَى المسجدِ -الزاعمُ أنه مِن أهل السُّنة- الدَّرْسَ ! مِن غير أن يتأدَّبَ بآداب طالبِ العِلْم، أو يتَّصلَ بي، لِيُخْفِيَ تَمْيِيعَهُ، وضَعفَهُ، وخِزْيَهُ، ومَيْلَهُ لأهل الأهواء، وسَلْبِيَّتِهِ فِي نصر السُّنة ، وكنتُ أُراقِبُ ضَعفَهُ خِلالَ الدُّرُوس فِي رُدُودِ أفعالِهِ ؛ حتىٰ كان ما قَصَصْتُه لكم، فتَيقَّنتُ أنه ليس في مُحافَظة **الشَّرقية** مسجدٌ لأهل السُّنة ! ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، وإلَى الله الْمُشْتكىٰ مِن هَوانِ أهل السُّنة، كما قال عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (( **اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك مِن جَلَدِ الْمُنافِقِ وعَجْزِ الثِّقَة** )).

فإنَّ مِنْ أَشَدِّ ما يُفْسِدُ دعوةَ أهل السُّنة: الزاعمون أنَّهم منها وهُم مِن غيرها، فإنَّ للسُّنِّيِّ علاماتٍ وخِصالَ وصِفاتٍ بِها يُحْكَمُ بِسُنِّيَّتِهِ أَوْ لا، فليس الأمْرُ أمْرَ زَعْمٍ، أو قولٍ ؛ بل أفعالٌ تُوافِقُ أقوالًا ومُعتقَداتٍ مُستقيمة علىٰ مِثل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ٠

**أيُّها الْمُمَيِّعُون**: بأفعالكم تُهْدَمُ السُّنةُ، وتحيا البِدَعُ، وإنَّما سُلِّطَ عليكم سَيْفُ المُبتدِعة، ومُلِئَتْ مساجدُكم بِهم ؛ ممَّا قدَّمتْ أيدِيكُم، ولو عَلِمَ الله فيكم خيرًا لَأَسْمَعَكُم، وعلَّمَكُم، ومَكَّنَ لَكُم وبِكُم، وثَبَّتكم ونصَرَكم، وكثَّرَ سَوادَكم ٠

فلمَّا كان ذلك ليس كذلك ؛ أصابكمُ الله بِهذا الْخِزْيِ والهوان !

قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ٠

ولا يعني قَوْلي عَدَمَ وُجُودِ سَلَفِيٍّ هُنالِكَ أَلْبَتَّة، ولَكِنَّهم قِلَّة، كان منهم مَن يَحْضُرُ دُرُوسِي، ولكن لا حَوْلَ لهم ولا قُوَّةَ، وليس ذلك لِكَثْرة الإخوان والحزبيين هُنالِكَ، فهذه مُحافَظةُ **المنوفية** مليئةٌ بالإخوان والقُطْبِيِّين والحِزْبِيِّين، ولِي سنين أُدَرِّسُ في مساجِدِها، وأهلُ السُّنةِ هُنالِكَ تحت أيديهم عشراتُ المساجد، والحمدُ لله، ولهم الشَّوْكَةُ والْقُوَّةُ، فَارْجِعُوا إلىٰ أنفسِكم وأصلحوها، وطَهِّرُوا قُلُوبَكُم حتىٰ يُعَلِّمَكُم الله، **قال تعالىٰ**: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] ٠

**قال القُرْطُبي في تفسيره** (٣/ ٣٠٧) :

(( وَعْدٌ مِنَ الله بأنَّ مَنِ اتَّقاهُ عَلَّمَهُ، أيْ: يجعلُ في قلبه نُورًا يفهمُ به ما يُلْقىٰ إليه، وقد يجعلُ الله في قلبه ابتداءً فُرْقانًا، أيْ: فَيْصَلًا يَفْصِلُ به بين الحَقِّ والباطل، ومنه قوله تعالىٰ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾[الأنفال: ٢٩])) اهـ ٠

ولَرُبَّما هُنالِكَ مسجدٌ لِأَهل السُّنةِ فِي مُحافَظة **الشَّرقية** لا أَعْرِفُه، فالله أعلم؛ وإن كان ذلك يبدو بعيدًا ٠

* * * * *

## « الكلمة الرابعة »

## ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾

لقد خَلَقَنا رَبُّ العِزَّةِ -جَلَّ وعَلا- لعبادته، وسَخَّرَ لنا ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه لتحقيق هذه الغاية، وإنَّما يَجِدُ القارئُ لكتاب الله -قراءةَ تَدَبُّرٍ وتَفَهُّمٍ- هذا المعنىٰ جَلِيًّا في أكثر مِن موضِعٍ منه، فيَجِدُ ذلك في سورة الجاثية، حيث قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٢-١٣]، ثُمَّ قال ﷻ بعد ذلك بآية: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [الجاثية: ١٥]٠

ثُمَّ قال بعدها بآيتين: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الجاثية: ١٨-١٩]٠

فأتْبَعَها بقوله: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٠-٢١]٠

ثُمَّ خَتَمَ هذا السِّياقَ بقوله: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٢]٠

**قال العلَّامةُ عبدُ الرحمٰن بن ناصرٍ السعديُّ فِي تفسيره (ص٧٧٧) :**

(( خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ بالحِكْمَة، ولِيُعْبَدَ وحده لا شريكَ له، ثم يُجازِي بعد ذلك مَن أَمَرَهُم بعبادته، وأَنْعَمَ عليهم بالنِّعَمِ الظاهرةِ والباطِنة، هل شَكَرُوا الله تعالىٰ وقاموا بالمأمور؟ أمْ كفروا فاسْتَحَقُّوا جَزاءَ الكَفُور ؟ )) اهـ٠

**قلتُ**: ويدخُلُ فِي ذلك العِصيانُ والابتداعُ، فيُقال:

أمْ عَصَوْا وابتدَعوا ، فَاسْتَحَقوا جَزاءَ الانحرافِ والتَّقْصِير؟

**ويُؤَكِّدُ ذلك الطَّبَرِيُّ فِي تفسيره (٢٦/ ١٥٤)، حيث قال:**

(( يقول تعالىٰ ذِكْرُهُ: ولِيُثِيبَ اللهُ كُلَّ عامِلٍ بما عَمِلَ، الْمُحسِنُ بالإحسان، والْمُسِيءُ بما هو أهلُه )) اهـ.

**وقال تعالىٰ:** ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

**قال الأُصُوليون:** هذه الآية مِن العُمُوم المخصوص، لأنَّ مِن الجِنِّ والإنس الكافر الَّذي لَمْ يَعْبُد اللهَ، وهذا إجماعٌ قَطْعِيٌّ، ومنهم المسلمُ العاصي والمُبتدِعُ.

**قال القُرطبيُّ فِي « الجامع لأحكام القرآن » (١٧/ ٤٢) :**

(( قيل: إنَّ هذا خاصٌّ فيمن سَبَقَ في عِلْمِ الله أنه يعبده، فجاء بلفظ العُمُوم ومعناه الخُصوص، والمعنىٰ: وما خَلَقْتُ أهلَ السعادةِ مِنَ الجِنِّ والإنس إلا لِيُوَحِّدُون.

قال القُشيريُّ: والآية دَخَلَها التخصيصُ علَى الْقَطْعِ ؛ لأنَّ المجانين والصِّبْيان ما أُمِرُوا بالعبادة حتىٰ يُقالَ أرادَ منهم العبادةَ، وقد قال تعالىٰ:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، ومَنْ خُلِقَ لِجَهَنَّمَ لا يكون مِمَّن خُلِقَ للعبادة، فالآيةُ محمولةٌ علَى المؤمنينَ منهم، وهو كقوله تعالىٰ: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ﴾ [الحجرات: ١٤]، وإنَّما قال فريقٌ منهم، ذَكَرَهُ الضَّحَّاكُ والكلبيُّ والفَرَّاءُ والْقُتَبِيُّ.

قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « أيْ: وماخَلَقْتُ الجِنَّ والإنس إلَّا لِآمُرَهُم بالعبادة ».

وعن مُجاهد: إلَّا لِآمُرَهُم وأَنْهاهم، وعن الكلبيِّ: إلا لِيُوَحِّدُون، فأمَّا المؤمنُ فيُوَحِّدُهُ في الشِّدَّةِ والرَّخاء، وأمَّا الكافِرُ فيُوَحِّدُهُ في الشِّدَّةِ والبلاء دُونَ النِّعمة والرَّخاء، يدلُّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ الآية [لقمان: ٣٢] ، وقال عِكْرِمة: إلَّا لِيعبدون ويطيعون، فأُثِيب العابِدَ، وأُعاقب الجاحدَ، وقيل: المَعْنىٰ: إلَّا لِأَسْتَعْبِدَهُم، والمَعْنىٰ مُتَقارِبٌ، تقول: عبدٌ بَيِّنُ العُبُودة والعُبُودِيَّة، وأصلُ العبودية: الخُضُوعُ والذل، والتعَبُّدُ: التذليل، والتَّعْبيدُ: الاستعباد، وهو أنْ يَتَّخِذَ عَبْدًا، وكذلك الاعْتِباد، والعِبادة: الطَّاعَة، والتَّعَبُّد: التَّنَسُّك ، فمعنىٰ ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ لِيذلُّوا ويَخْضَعُوا ويعبدوا )) اهـ.

فكُلُّ مَن قَصَّرَ في القيام بتحقيق العُبُودِيَّة بترك الأوامر أو ارتكاب بعض النواهي، أو هُما معًا ؛ فقدْ خالَفَ مُرادَ اللهِ فيه، وكان مِنَ العُصاةِ الفاسِقِينَ، وهذا يُؤَثِّر في توحيدِه ؛ لِأَنَّ معنىٰ «لا إله إلا الله» : أنه لا معبودَ بحَقٍّ إلا الله، والعِبادةُ الَّتي هي التوحيدُ هي: فِعْلُ الأمر واجتنابُ النَّهْي، فبِكُلِّ معصيةٍ ينقص توحيدُ العاصي؛ لأنَّ الله قال له افعلْ؛ فلَمْ يفعلْ، وقال له لا تفعلْ؛ ففَعَلَ.

**ومِنْ هُنا قال تعالىٰ**: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣]، وقال: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس:٦٠].

وروَى البخاريُّ في صحيحه (٢٨٨٧) مِن حديث أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (( **تَعِسَ عبدُ الدِّينارِ، وعبدُ الدِّرْهَمِ، وعبدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعطِيَ رَضِيَ، وإِن لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وانْتَكَسَ** )) الحديث.

فَسَمَّى اللهُ ورسولُهُ ﷺ طاعةَ غير الله عِبادةً ؛ لأنها تُخالِفُ اللهَ ورسولَه، والعبادة طاعةُ الله ورسولِهِ ، قال تعالىٰ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠].

وقال الله تعالىٰ مُقَرِّرًا أنَّ التوحيدَ هو دِينُ الأنبياء والمرسلين: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ الآية [النحل: ٣٦].

وإنْ كانت المعصيةُ قَدْحًا في التوحيد ؛ فالبدعةُ أَعْظَمُ قَدْحًا وأَشَدُّ فَتْكًا بتوحيد الأُمَّة ؛ لأنها تشريعٌ مِن دون الله في صورة التشريع ؛ فيَحْدُثُ بِها اللَّبْسُ في الدِّين.

**قال الشَّاطبيُّ في «الاعتصام»** (١/ ٤١-٤٢) :

(( وأصلُ مادَّةِ «بَدَعَ» للاختراع علىٰ غير مثالٍ سابقٍ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١١٧]، أيْ: مُخترعها علىٰ غير مثالٍ سابقٍ مُتَقَدِّم، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩]، أيْ: ما كنتُ أَوَّلَ مَن جاء بالرِّسالة مِن عند الله إلَى العِباد ؛ بل تَقَدَّمَني كَثيرٌ مِنَ الرُّسُل.

ويُقال: ابتدَعَ فلانٌ بدعةً، يعني: ابتدَأَ طريقةً لَمْ يسبقه إليها سابق، ومن هذا المعنىٰ سُمِّيَتِ البدعةُ بدعة ، فاستخراجُها للسلوك عليها هو الابتداع ، وهَيْئَتُها هي البدعة،

وقد يُسمَّى العملُ المعمولُ علىٰ ذلك الوجه: بدعة، فمِن هذا المعنىٰ سُمِّيَ العملُ الذي لا دليلَ عليه في الشَّرْعِ: بدعة٠

فالبدعةُ إذَنْ ؛ عبارةٌ عن: طريقةٍ فِي الدِّين مُخْتَرعَةٍ تُضاهي الشَّرْعِيَّةَ، يُقْصَدُ بالسُّلُوكِ عليها ما يُقْصَدُ بالطريقة الشرعية، أيْ: طريقة ابْتُدِعَتْ علىٰ غير مثالٍ تقَدَّمَها مِنَ الشَّارِع ؛ إذِ البدعةُ إنَّما خاصَّتُها أنَّها خارِجةٌ عمَّا رَسَمَهُ الشَّارع )) اهـ٠

**قلتُ**: وعلىٰ ضوء هذه المعانِي ؛ فالبدعةُ مِعْوَلٌ مرفوعٌ علىٰ شرائع الإسلام وعُرَى الدِّين يَهْدِمُها شَعِيرةً شَعِيرةً، ويَنْقُضُها عُرْوَةً عُرْوَةً، وقد ذَكَرْتُ فِي الكلمة السَّابقة «**تمييعٌ حتَّى النُّخاع**» ما يكفي لبيان عِظَمِ البدعة وفسادِها علَى الدِّين٠

*** التكلُّم في أهل الأهواء وبيان حالهم بالاسْم والرَّسم مِنْ أَجَلِّ العِبادات، وبه يُعْرَفُ السُّنِّيُّ مِنَ التَّمْيِيعِيِّ، وهو واجبٌ بالكِتاب والسُّنة والإجماع :**

**قال الإمامُ أبو محمدٍ الحَسَنُ بْنُ عليِّ بْنِ خَلَفٍ الْبَرْبَهَارِيُّ، إمامُ أهلِ السُّنة والجماعة فِي زمانهِ (ت٣٢٩هـ)، صاحب الكتاب البديع «شرح السُّنة» ؛ فيما ذَكَرَهُ القاضي أبو يَعْلَىٰ في طبقات الحنابلة (٣/ ٧٧)، ترجمة (٥٨٨) :**

(( مَثَلُ أصحاب البدع مَثَلُ العقارب، يدفنون رُؤُوسَهم وأبدانَهم في التراب، ويُخرِجون أذنابَهم، فإذا تمَكَّنوا لَدَغُوا، وكذلك أهلُ البدع هُم مُخْتَفُونَ بين الناس، فإذا تَمَكَّنوا بَلَّغُوا ما يُريدون، والناس في خداعٍ مُتَّصِل )) اهـ٠

وعليه ؛ فمَن لَمْ يتكلم في أهل البدع والأهواء الخبثاء الْمَكَرَةِ الْمُخادِعِينَ، فهو مِمِّن يساعد في هلاك المسلمينَ، وحالُهُ حال أحَدِ رَجُلَيْنِ: **الأول**: حال رَجُلٍ جبانٍ، خَوَّافٍ، مُمَيِّع، بَطَّال، مُعِينٍ علىٰ هَدْمِ الدِّين، يخشَى الناسَ ولا يخشَى اللهَ، واللهُ أَحَقُّ أن يخشاهُ ، آثَرَ وفَضَّلَ الذي هو أدْنَىٰ علَى الأعلىٰ، **والثاني**: رَجُل مبتدع مُتَخَفٍّ ؛ وإنْ أَظْهَرَ أنه مِن أهل السُّنة ؛ لأنَّ فِعْلَهُ يُخالِفُ قولَه٠

**قال شيخُ الإسلامِ ابْنُ تيمية في «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٣١)** : (( مثل أئمة البدع مِن أهل المقالات المُخالِفة للكِتاب والسُّنة، أو العِبادات المُخالِفة للكِتاب والسُّنة، فإنَّ بيانَ حالِهم وتحذيرَ الأُمَّةِ منهم واجبٌ باتفاق المسلمين )) اهـ٠

**وقال مثله النوويُّ في «شرح صحيح مسلم»** (١/ ١٠٧):

(( بل واجبٌ بالاتفاق ؛ للضَّرورة الدَّاعية لصيانة الشريعة الْمُكَرَّمَة، وليس مِنَ الغِيبة الْمُحَرَّمَة ؛ بل مِنَ النصيحة لله تعالىٰ ورسولهِ ﷺ والمسلمينَ، ولَمْ يَزَلْ فُضَلاءُ الأُمَّةِ وأخيارُهم وأهلُ الْوَرَع منهم يفعلون ذلك )) اهـ٠

**وقال القرطبيُّ أبو العباس في «الْمُفْهِم لِمَا أُشْكِلَ مِن تلخيص كتاب مُسْلِم»** (٦/ ٦٤) :

(( وهذه أمورٌ ضروريةٌ في الدِّين معمولٌ بِها مُجْمَعٌ مِنَ السَّلَفِ الصالح عليها )) اهـ٠

يقصد التكلُّمَ فِي أهل البدع٠

وروَى البخاريُّ فِي صحيحه (٤٥٤٧)، ومسلمٌ (٢٦٦٥)، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تَلا رسولُ الله ﷺ :﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسولُ الله ﷺ:

**(( إذا رأيتم الَّذين يتَّبِعون ما تشابهَ منه ؛ فأولئك الذين سَمَّى اللهُ، فاحذروهم ))٠**

**قال ابْنُ حَجَرٍ في «فتح الباري»** (٨/ ٢٣٩) **عند شرح الحديث:**

(( المراد: التحذير من الإصغاء إلى الذينَ يتَّبعون الْمُتشابه مِنَ القرآن )) اهـ٠

**وقال النوويُّ في «شرح صحيح مسلم»** (١٦/ ١٦٥) :

(( وفِي هذا الحديث: التحذير مِن مُخالَطة أهل الزيغ، وأهل البدع، ومَن تتبَّعَ المُشْكلات للفتنة )) اهـ٠

**قلتُ:** فقوله ﷺ : «**فاحذروهم**» أمْرٌ، والأمر للوجوب، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، ولكي يحدث الامتثال لهذا الأمر ؛ ينبغي معرفة هؤلاء، وتعريفهم للناس، وبيان حالهم بالاسم والرسم ؛ لأنه لا يتمُّ الحذر منهم إلَّا بالتحذير منهم ببيان فسادهم وانحرافهم ؛ لأنَّ القاعدةَ الأصوليةَ الْمُجْمَعَ عليها تقول: « ما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجبٌ ؛ **إذا لَمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ ورسولُه** »٠

وإنَّما أَضَفْتُ في بعض مُصَنَّفاتِي هذا القَيْدَ علَى القاعدة، وهو: «**إذا لمْ يُحَرِّمْهُ اللهُ ورسولُه**» ؛ لأنَّ أهل الأهواء أَخَذُوا هذه القاعدةَ ذَرِيعَةً احتجُّوا بِها علىٰ جَوازِ الأحزاب، والدِّيمُقراطية، والانتخابات، ودخول البرلمانات ؛ لأنه لا يتمُّ تطبيقُ الشريعة -علىٰ زَعْمِهم- إلَّا بذلك وهذا ضَلالٌ مُبينٌ، بَيَّنْتُهُ تفصيلاً فِي كتابي: «**الأحزاب بين مصلحة الوطن وغياب اليقين بالله**»٠

فهل يَجْعَلُ اللهُ العزيزُ الحكيمُ مصلحةَ الأُمَّةِ في عَيْنِ ما حَرَّمَ عليها، والنَّهْيُ يقْتَضِي الفساد ؟!

كذلك روىٰ مسلم في مقدمة صحيحه (٦، ٧) حَدِيثَيْنِ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (( **سيكون فِي آخِرِ أُمَّتِي أُناسٌ يُحَدِّثونكم ما لَمْ تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيَّاهم** ))٠

والحديث الثانِي قال فيه ﷺ : (( **يكون فِي آخِرِ الزمان دَجَّالُون كذَّابون، يأْتُونكم مِنَ الأحاديث بِما لَمْ تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإيَّاهم، لا يُضِلُّونكم، ولا يفتِنُونكم** ))٠

**وبَوَّبَ الإمامُ ابْنُ بطَّةَ الْعُكْبَرِيُّ فِي كِتابه «الإبانة الكبرىٰ» (١/ ٢٩١) بابًا، وهو: «التحذير مِن صُحبة قومٍ يُمْرِضُون القلوبَ ويُفسِدُون الإيمان»، ثُمَّ روىٰ بِسَنَدِهِ عن ابْنِ عون (٣٥٨، ٥٥٠)، قال:**

(( عن محمد بْنِ سِيرِين في هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام: ٦٨]، قال: «كُنَّا نَعُدُّهُم أصحابَ الأهواء»، وفي الرِّواية الثانية قال: «كان محمدٌ يرىٰ أنَّ هذه الآيةَ أُنزِلَتْ فيهم» )) اهـ٠

وكذلك ذَكَرَ الآيةَ الإمامُ البغَوِيُّ فِي «شرح السُّنة» (١/ ١٨٩) تحت باب «مُجانبة أهل الأهواء»، واستدلَّ بِها الإمامُ أبو عُثمانَ الصابونِيُّ فِي كتابه «عقيدة السَّلف أصحاب الحديث» (ص٢٩٨-٢٩٩، ٣١٥-٣١٦)، وهو ينقل الإجماع علىٰ ذلك٠

وللمزيد: انظر كتابي « **التَّحْذِير والتَّبيين بوجُوب الرَّدِّ علَى المُخالِفِين** »٠

## * خِدَاعٌ مُتَّصِلٌ، ومنهجٌ مُنْكَسِرٌ مُنفَصِل ! :

فإذا كان ذلك كذلك، وتَقَرَّرَ عندك ما مَضَىٰ ؛ فَاعْلَمْ أنه قد قَصَّرَ في التكلُّم في أهل الأهواء في بلدنا جُلُّ المشايخ والدُّعاة، إلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ، وقليلٌ ما هُم، وأنا أعْلَمُ منهم الكثيرَ لمْ يُسْمَعْ لِأَحَدٍ منهم أنه تكَلَّمَ علىٰ أهل الأهواء بالتعيين بالاسم والبيان والتوضيح لِبدَعِهم تفصيلاً في مَقْطَعٍ صوتِيٍّ خاصٍّ، أو في خُطْبة جُمعة، أو في درسٍ خاص -لا أقول سلسلة دروس- أو في مُصَنَّفٍ يُفَصِّلُ فيه القولَ، حتىٰ يبرأ إلَى الله مِنَ التبعة والمسئولية العظيمة ؛ بل بعضُهم يُراوِغُ ويُخادِع، فيَذْكُر ذلك في سِياقِ درسٍ لا يُوحِي عنوانُ الدرس بذلك، ممَّا يُعْلَمُ منه يقينًا أنه ما تكلَّمَ ؛ لأنه لن يسمعَهُ أحدٌ، هذا إنْ رُفِعَ الدَّرْسُ ابتداءً علىٰ موقعه، أو درسٍ لا يحضُرُهُ إلَّا المُقَرَّبون منه، الْمُمَيِّعون مثل شيخهم، فيكتمون عليه ذلك -هذا إنْ ذَكَرَ- ومثل هذا كثيرٌ، وهُم يُشارُ إليهم بالبَنان أنَّهم مِن أهل السُّنة والجماعة ؛ بل منهم مَن يُخالِطُ أهلَ الأهواء في مساجدهم، بِعِلَّةِ الدعوة ونَشْرِ منهجِ أهل السُّنة، وهو كذَّابٌ مُخادِعٌ ؛ إذْ أنه إذا كان في مساجدهم فلَنْ يتكلمَ بما يُخالِفُ منهجَهم، ولو تكلم لَمَنعوه، ولو لَمْ يمنعوه -جَدَلًا، والمسجدُ مسجدُهم- فسيَهدِمون ما قالَهُ مِنَ الحقِّ إنْ قَوِيَ علىٰ قولِهِ، وليس وراءَ وجودِهِ في مساجدهم -إنْ كان الناسُ يزعمون أنه مِن أهل السُّنة- ليس ثَمَّ إلاَّ تلبيس الدِّيانة علَى المسلمين، وتخليط الْمِلَّة علىٰ طلبة العِلْم، وصَبْغ مساجِدِ المبتدعة بالصِّبْغَةِ السُّنِّيَّةِ الزائفة وتكثير سوادِ المبتدعة، وكُلُّهُ خواءٌ وضَعْفٌ وخَورٌ وتمييعٌ وتدليسٌ وكذبٌ وفسادٌ وخِداعٌ وهدمٌ لشعائرِ الدِّينِ وعُراه ؛ إذْ لن يتمكَّنَ السُّنِّيُّ مِن نشْرِ منهجِ أهل السُّنةِ والجماعة إلَّا مِن مساجد أهل السنة والجماعة القائم عليها رجالٌ علىٰ مِثل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه، وغيرها خِداعٌ مُتَّصِلٌ ، فَكَمْ مِن مساجِدَ مشهورةٍ يعلمها كلُّ طلبة العِلْم، ويخطُبُ فيها مَن يزعُمُ أنه مِن أهل السُّنة، ما ذُكِرَ فيها اسمٌ لِرَجُلٍ مُبتدعٍ حتىٰ يَحْذَرَهُ الناسُ !!!

نعوذ بالله مِنَ الغِشِّ في الدِّين، والخيانة والتدليس والتلبيس، والتجارة بمنهج أهل السُّنة والجماعة، تجارة خاسرة، يُباعُ فيها الدِّينُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا !

*** أَمْرٌ جَلَلٌ عظيم ! :**

ثُمَّ إنَّ هناك أمْرًا جَلَلاً عظيمًا، وهو ثمرةٌ لِمَا تقدَّمَ ؛ وذلك أنَّ مِن مشايخ أهل السُّنة والجماعة المشهودِ لهم بالعِلْم والعمل والفضل، والشِّدَّةِ علىٰ أهل الأهواء، مِن كبار أهل العِلْم في بلدنا وخارِجها، وهُم مِمَّن يُبْغِضُون الْمُيوعةَ والْخُنوثةَ ؛ بل والتذبذب بين هؤلاء وهؤلاء، بين أهل السُّنة وأهل الأهواء، مِمَّن يُبغِضُون النَّسْوَنةَ فِي مسائل المنهج، وعدمَ الرُّجُولة، مِمَّن يكرهون النِّفاقَ والرِّياءَ والظهورَ بالوجوه، لا بالوجهَيْنِ فحَسْب، مِمَّن يُبغِضُون المُبتَدِعةَ وأهلَ الأهواء، يحدث في مساجدهم بعضُ ما يُنكَر، فيُطَبِّقون منهجَ أهل السُّنة والجماعة، فيُنكرون ما ينبغي له أن يُنكَرَ، ويلْزَمُ مِن ذلك طَرْدُ المُبتَدِعة مِن مساجدهم ؛ لِيَميزَ اللهُ الخبيثَ مِنَ الطَّيِّب، كما قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩]، وهُمْ أَخْبَرُ وأَعْلَمُ بقومهم، ثُمَّ يُفاجَأُ هؤلاءِ المشايخُ أنَّ هؤلاءِ المبتدعةَ قد ذَهَبُوا إلىٰ مساجِدَ لِمشايخَ مِنْ أهلِ السُّنة في ظاهِرهم، فيفتحون أحضانَهم لِهؤلاء الصِّبْيانِ المبتدعة، ويفرحون بِهم، ويدافعون عنهم، وينصرونَهم علىٰ إخوانِهم مِن مشايخ أهل السُّنة الذينَ هُم أعلمُ بِهم، فيُصَدِّقُ هؤلاءِ المشايخُ الصِّبْيانَ، ويُكَذِّبون إخوانَهم، أو يتعلَّلون بِشُبَهٍ داحِضَةٍ لا تُغْني عنهم شيئًا عند التحقيق، مفادُها : « احتضانُ المُبتدعة » !!

وصِنفٌ آخَرُ عجيبٌ -سبحان الله !- يخاف علىٰ نفسه مِن هؤلاء الشِّرْذِمةِ مِنَ الصِّبْيانَ المبتدعة، ويخشىٰ سَطْوَتَهُم وأَلْسِنَتهم، ويُصَرِّحُ بذلك مِن غير حياءٍ ولا خَجَل، وقد ضَرَبَ بأصولِ أهلِ السُّنة ومسائِلِ المنهج عرضَ الحائط، وخَذَّلَ إخوانَهُ مِن أهل السُّنة ؛ إن كان منهم ابتداءً ؛ إذْ لِلاسْتِنانِ علاماتٌ ومناراتٌ، يُعْرَفُ بِها أصحابُها مِن أهل السُّنة، أَوَّلُها: نُصرةُ أهل السُّنة، وإذْلالُ أهلِ البدعة.

وهذا الذي يحدث مِن أشدِّ الأسباب التي تؤدي إلىٰ تمزيق صَفِّ أهل السُّنة شِيَعًا وجماعاتٍ وأحزابًا، وزَرْعِ الْمُيُوعةَ والْخُنُوثةَ في قلوب شباب الأُمَّة، واللهُ عليمٌ حكيمٌ خبيرٌ لطيفٌ؛ قال تعالىٰ:﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [المُلك: ١٤].

وأنا رَجُلٌ لا أصبر علَى الباطل، ولا قُدرةَ لِي علَى التَّلَوُّنِ، والنِّفاقِ، وبَيْنَ بَيْنَ ! وإمساكِ العصَا مِنَ الْوَسَطِ التَّمْيِيعِيِّ النِّفاقِيِّ التِّجارِيِّ التَّلْوِينِيِّ ؛ بل يُشعرنِي ذلك -واللهِ- بالغَثَيان والرغبة في التَّقَيُّؤ -فِعْلاً- وأشعر بالمسئولية التبليغية الدعوية، فأقوم بِها مَهْمَا ترَتَّبَ عليها مِن صِعابٍ وبلاءٍ ، ولا أُبالِي ٠

* **أيُّها الْمَذْكُورُونَ الْمَوْصُوفُونَ :** قد قال ربُّكُم: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وإنَّ ما عند الله لا يُنالُ إلَّا بِطَاعَتِه، ومِنْ أَجَلِّ نِعَم اللهِ علَى الرِّجال: الدَّعْوَةُ إِلَى الله علىٰ بصيرة، واللهُ عزيزٌ حكيمٌ، قد يَسْلُبُ النِّعَمَ، فيُبَدِّلُها إِلَى نِقَمٍ ٠

قال تعالىٰ: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [نوح: ١٣]٠

إِنَّما يُوَفَّقُ الْمَرْءُ للخَير والصَّلاح والفَلاَح والدَّعْوة إِلَى اللهِ خَلَفًا عن نَبيِّهِ ﷺ ؛ لو تَخَلَّقَ بأخلاقِ نَبيِّهِ ﷺ الذي كان خُلُقُهُ القُرآن٠

لا يُنالُ ما عند الله بالغِشِّ والخِيانة والكَذِب والنِّفاق والتَّلَوُّن واللَّعِب والعَبَث !

**فهذا شيخُ الإسلام -كما أَطْلَقَ هذا اللقبَ عليه شيخُ الإسلام ابْنُ تيمية- شيخُ أهل السُّنة والجماعة أبو عُثمانَ الصَّابُونِيُّ -رَحِمَهُ الله وجزاه عن المسلمين خيرَ الجزاء- ها هُوَ ذا يُرَصِّعُ كتابَهُ «عقيدة السَّلَفِ أصحاب الحديث» بِهذا البيان الْمُجْمَعِ عليه مِن السَّلَفِ، حيث قال في كتابه المذكور (ص٢٩٨-٢٩٩ ، ٣١٥-٣١٦) :**

(( ويتحابُّون في الدِّين، ويتباغَضُون فيه، ويتَّقون الجدالَ في الله، والخصوماتِ فيه، ويُجانِبُون أهلَ البدع والضَّلالات، ويُعادُون أصحابَ الأهواء والجهالات، ويقتدون بالسَّلَف الصَّالحين مِن أئمة الدِّين وعلماء المسلمين، ويتمسَّكون بما كانوا به مُتمَسِّكِينَ مِنَ الدِّين المَتين والحَقِّ المُبين، ويبغضون أهلَ البدع الذينَ أَحْدَثُوا في الدِّين ما ليس منه، ولا يُحِبُّونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامَهم، ولا يُجالِسونهم، ولا يُجادِلونهم في الدِّين ، ولا يُناظِرُونهم ، ويَرَوْنَ صَوْنَ آذانِهم عن سماعِ أباطيلهم ، التي إذا مَرَّتْ بالآذان وقَرَّتْ في القلوب ضَرَّتْ وجَرَّتْ إليها مِنَ الْوَساوِسِ والْخطَرَاتِ ما جَرَّتْ ، وفيه أنزل الله ﷿ قولَهُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨] ...

وهذه الْجُمَلُ التي أَثْبَتُّها في هذا الجُزْءِ كانت مُعتقَدَهُم جميعِهم، لَمْ يُخالِفْ فيها بعضُهم ؛ بل أجمعوا عليها كُلِّها، واتَّفَقُوا مع ذلك علَى القول بِقَهْرِ أهلِ البدع، وإذْلالِهم، وإخْزَائهم، وإبعادِهم، وإقصائهم، والتَّباعُدِ منهم ومِن مُصاحَبَتِهم ومُعاشَرَتِهم، والتَّقَرُّبِ إلَى الله بمُجانَبَتِهم ومُهاجَرَتِهم )) اهـ.

*** أيُّها الْمُمَيِّعُونَ الْمُخَنَّثُونَ الدَّجَّالُونَ مِمَّن يتكَلمُ في دِينِ اللّٰه :**

لقد آلَتْ دِفَّةُ الدعوةِ، دعوةِ أهلِ السُّنةِ في كثيرٍ مِن مساجدِ المسلمينَ في مِصر، إلىٰ صِبْيان غِلْمان، يُحَرِّكونَها علىٰ ما تهوىٰ أنفسُهم ! فهل أنتم مُنتَهُون ؟!

وما كان ذلك كذلك إلَّا لِضَعْفِكم وخِزْيِكم وحُبِّكم للرِّئاسة، وأنْ يكثر سَوادُكم، فمُلِئَتْ مساجدُكم مِن كُلِّ أطيافِ المُبْتَدِعة، وطَلَبَةِ كُلِّ أهلِ الأهواء مِن مشايخ الضلالة، ولا يزالُ جَمْعُكُم يفتح أحضانَهُ لهم، حتىٰ أَهْلَكْتُم دعوةَ أهلِ السُّنة ! عليكم مِن الله ما تستحِقُّون.

واللهِ، ثُمَّ تاللهِ، ثُمَّ باللهِ، لقد آلَتْ دعوةُ أهلِ السُّنة إلَى الغِلمانِ السُّفهاءِ ؛ بِكُمْ وبِصَنِيعِكم، وإن لمْ تستقيموا لَأُشَهِّرَنَّ بِكُمْ بالحَقِّ ؛ ولَأَفْضَحَنَّكُمْ بالاسْم والرَّسْم، بِلا تَعرِيضٍ ولا تَوْرِيَةٍ، وما أُبِيحَ للضَّرورةِ يُقَدَّرُ بِقَدْرِها ؛ حتىٰ يتجَنَّبَكُمْ أهلُ الحَقِّ مِن طلبة العِلْم -وقليلٌ ما هُم- مَعْذِرَةً إلىٰ ربِّكم، وتَحَمُّلًا لمسئولية التبليغ، التي تقاعَسَ عنها جُلُّ الدُّعاة والمشايخ ؛ إلَّا مَن رَحِمَ اللهُ ، وقليلٌ ما هُم.

قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، رِسالةَ أهلِ الحقِّ، رسالةَ أهلِ السُّنة والجماعة، الرسالة التي يقومُ بِها الرِّجالُ فحَسْب.

**فاسْتمِعوا إلىٰ هذا الشيخ المبارك الجليل بقلوبكم في معنىٰ هذه الآية، حيث قال العلاَّمَةُ السعديُّ فِي تفسيره (ص٢٧٢) :**

(( فقال: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ فمَنْ عَلِمَهُ يَصْلُحُ لها ويقومُ بأعبائها، وهو مُتَّصِفٌ بِكُلِّ خُلُقٍ جميلٍ، ومُتَبَرِّئٌ مِن كُلِّ خُلُقٍ دَنِيءٍ ؛ أعطاهُ الله ما تقتضيه حِكْمَتُه أَصْلاً وتبعًا، ومَن لمْ يكُنْ كذلك؛ لَمْ يَضَعْ أفْضَلَ مَوَاهِبِه عند مَن لا يَسْتَأْهِلُهُ، ولا يَزْكُو عنده.

وفي هذه الآية دليلٌ علىٰ كمالِ حِكْمَةِ الله تعالىٰ؛ لأنه وإن كان تعالىٰ رحيمًا واسِعَ الْجُود، كثيرَ الإحسان؛ فإنه حكيمٌ لا يَضَعُ جُودَهُ إلَّا عِندَ أَهْلِه )) اهـ.

وإذا خَفِيَتْ هذه المَفاهيمُ علَى الدَّاعية ؛ فليس أَهْلًا لِأَنْ يتكلَّم في دِين الله ؛ لِأَنَّ فاقِدَ الشَّيْءِ لا يُعْطِيه ؛ إذْ هي مفاهيمُ التوحيد، والثِّقَةِ بالله، وحُسْنِ الظنِّ به.

* **والمُصِيبةُ حَقّ المُصِيبة** : أنَّ طُلَّابَ هؤلاء المذكورينَ يقتدون بِهم في زَيْغِهم وانحرافِهم عن الحَقِّ، وهذا أمْرٌ يُبَشِّرُ بِشَرٍّ مُستطير، وبِمَعالِمِ دعوةٍ علىٰ أبواب جهنم ؛ إذْ لا خَيْرَ في الطالبِ ولا المطلوب، لا خَيْرَ في المُتعلِّم ولا العالِم؛ ما دامت الأخلاقُ علىٰ تَدَنِّيها مُسْتَقِرَّةً راسخةً، ولَرُبَّما سُحِبَ بساطُ الدَّعْوَةِ مِن تحت هؤلاءِ وهُم لا يشعرون، وقد حَدَثَ بعضُ هذا، أو يُتْرَكون يُسْتَدْرَجُون، بلاءً لهم وللمسلمين، بما قدَّمَتْ أيديهم.

قال ربُّكم: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] والعِبْرةُ في هذه الآية بعُموم اللَّفظِ، لا بخُصوصِ السَّبب، وهي قاعدةٌ أُصُولِيةٌ، عليها الإجماعُ سَلَفًا وخَلَفًا .

**روَى ابْنُ جَرِيرٍ فِي تفسيره (٣١٥٠٩) عن قتادةَ أنه قال في هذه الآية:**

(( إنْ تَوَلَّيْتُمْ عن كِتابي وطاعتي ؛ أَسْتَبْدِلْ قومًا غَيْرَكم، قَادِرٌ -وَاللهِ- رَبُّنَا علىٰ ذلك، علىٰ أنْ يُهلِكَهُم ويأْتِيَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ هو خَيْرٌ منهم )) اهـ.

**وقال الحافظُ ابْنُ كثيرٍ في تفسيره (٧/ ٢٠٧) :**

(( وقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ﴾ أيْ: عن طاعتهِ واتِّباعِ شَرْعِهِ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ أيْ: ولكن يكونون سامعين مُطِيعين له ولِأَوامِرِه )) اهـ.

قال تعالىٰ: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤].

وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

فاحْذَرُوا مَكْرَ اللهِ واسْتِدْراجهِ ، وكُونوا عِبادَ الله الْوَجِلِين.

## « الكلمة الخامسة »

# الهَمَج الرَّعاع ، و دِفّة الدَّعوة !

*** الناس ثلاثة أقسام:**

روَى الحافظُ الفقيهُ الأُصوليُّ أبو بكر أحمد بن عليِّ بن ثابتٍ الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللهُ (ت٤٦٢هـ) في كتابه: «الفقيه والمُتَفَقِّه» (١/ ٤٩، وما بعدها)، تحت «باب: ذِكْر تقسيم أمير المؤمنين عَلِيِّ بن أبي طالب أحوالَ الناس فِي طلب العِلْم وتَرْكِه»، عن كُمَيْل بن زياد النَّخعي قال: أَخَذَ عليُّ بن أبي طالبٍ بِيَدِي، فأَخْرَجَني إلىٰ ناحية الجَبَّان، فلمَّا أَصْحَرَ[1] جلسَ، ثُمَّ تَنَفَّسَ، ثُمَّ قال:

**(( يا كُمَيْل بن زياد، احفظ ما أقول لك: القلوبُ أَوْعِيَةٌ، خيرُها أَوْعاها، الناسُ ثلاثةٌ: فعالِمٌ رَبَّانِيٌّ، ومُتَعَلِّمٌ علىٰ سبيل نَجَاة، وهَمَجٌ رعاعٌ أَتْباعُ كُلِّ ناعِق، يَميلُون مع كُلِّ رِيح، لَمْ يستضيئوا بِنور العِلْم، ولَمْ يَلْجَأُوا إلىٰ رُكْنٍ وَثِيقٍ ... ))**.

**قال الخطيبُ البغداديُّ تعليقًا علىٰ هذا الحديث:**

(( هذا الحديث مِنْ أحسن الأحاديث مَعْنًى، وأَشْرَفِها لَفْظًا، وتقسيم أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ الناسَ في أَوَّلِهِ تقسيمٌ في غاية الصحة ونِهاية السَّدَاد ؛ لأنَّ الإنسان لا يخلو مِنْ أَحَدِ هذه الأقسام الثلاثة التي ذَكَرَها، مع كمال العَقْل وإزاحة العِلَل، إمَّا أن يكون عالِمًا، أو مُتَعَلِّمًا، أو مُغْفِلًا للعِلْمِ وطَلَبِه، ليس بعالِم ولا طالبٍ له.

*** فالعالِمُ الرَّبَّانِيُّ**: هو الذي لا زيادةَ علىٰ فضلهِ لِفاضِل، ولا مَنْزِلَةَ فَوْق مَنْزِلَتِهِ لِمُجْتهِد، وقد دَخَلَ في الوصف له بأَنَّهُ رَبَّانِيٌّ ؛ وَصْفُهُ بالصِّفات التي يقتضيها العِلْمُ لِأَهْلِهِ، ويمنع وَصْفهُ بما خالَفَها.

---

(١) قال ابن الأثير في «النهاية» (٣/ ١٢) : (( أَصْحَرَ الرَّجُلُ: إذا دَخَلَ في الصحراء )) اهـ.

**ومعنَى الرَّبَّانِيِّ في اللُّغة**: الرفيعُ الدرجةِ في العِلْم، العالي المَنْزِلَةِ فيه، وعلىٰ ذلك حَمَلُوا قولَ الله تعالىٰ: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

أنا[1] أبو بكر ... عن مجاهدٍ قال: «الرَّبَّانِيُّون: الفقهاء، وهُم فوق الأحبار».

أنا القاضي ... عن أبي رزين في قوله: ﴿كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ قال: «فُقهاءُ عُلماءُ».

قرأتُ علَى الحسن ... سألتُ ثعلبًا عن هذا الحَرْف «رَبَّانِيّ» فقال: سألتُ ابنَ الأعرابي فقال: «إذا كان الرَّجُلُ عالِمًا مُعَلِّمًا، قيل له: هذا رَبَّانِيٌّ، فإنْ خَرَمَ عن خصلةٍ منها ؛ لَمْ يُقَلْ له رَبَّانِيٌّ».

وبَلَغَنِي عن أبي بكر ابن الأنباري عن النحويِّين أنَّ «الرَّبَّانِيِّين» منسوبون إلَى الرَّبِّ، وأنَّ الألِف واللام زِيدَتا في النَّسَب، كما تقول: لِحْيَانِيٌّ جُمَّانِيٌّ، إذا كان عظيم اللِّحْيَة والجُمَّة.

* **وأمَّا المتعلِّمُ علىٰ سبيل النجاة**: فهو الطالبُ بتعلُّمِهِ والقاصدُ به نجاتَهُ مِن التفريط فِي تضييع الفُروض الواجبة عليه، والرَّغبةَ بنفْسِهِ عن إهمالها واطِّراحها، والأنَفَةَ عن مُجانَسَةِ البهائم، وقد نَفَىٰ بعضُ المُتَقدِّمين عن الناس مَن لَمْ يكن مِن أهل العِلْم.

* **وأمَّا القسم الثالث**: فهُم المُهْمِلُون لِأَنْفُسِهم، الرَّاضُون بالمَنْزِلة الدَّنِيَّة، والحال الخسيسة، التي هي الحضيض الأَوْهَد، والهبوط الأسفل، التي لا بعدها في الخمول، ولا دُونَها فِي السقوط -نعوذ بالله مِن الخِذْلان، وعدم التوفيق، والحِرْمان- وما أَحْسَنَ ما شَبَّهَهُمُ الإمامُ عَلِيٌّ بالهَمَج الرَّعاع، والهَمَجُ: البعوضُ، وبه يُشَبَّهُ دُناةُ النَّاس وأَرَاذِلُهُم، والرَّعاع: المُتَبَدِّدُ المُتَفَرِّق، والناعق: الصَّائح، وهو فِي هذا الموضع: الرَّاعِي، يُقال: نَعَقَ الرَّاعِي بالغَنَم، يَنْعِقُ: إذا صاح بِها.

---

(١) «أنا»: اختصار (أخْبَرَنا) في مصطلح المُحَدِّثين.

ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١] )) اهـ.

**قال ابن كثير عند هذه الآية مِن سورة البقرة في تفسيره (١/ ٣٠٣) :**

(( ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: فيما هُم فيه مِن الغَيِّ والضلال والجهل، كالدَّوابِّ السارِحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نَعَقَ بها راعيها، أي: دعاها إلىٰ ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه ؛ بل إنَّما تسمع صَوْتَهُ فقط.

وقوله: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ أي: صُمٌّ عن سماع الحق، بُكْمٌ لا يَتَفَوَّهُون به، عُمْيٌ عن رؤية طريقه ومسلكه، ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعقلون شيئًا ولا يفهمونه )) اهـ.

**قلتُ**: وهُم الذين وَصَفَهُمُ اللهُ فقال: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فالهَمَجُ الرَّعَاعُ بَعُوضُ النَّاس، حَطَبُ الفتن ووَقُودُها في كل زمانٍ ومكان، يعبثون، يُفسِدون، يُخَرِّبون، يلعبون، يمرحون بِكُلِّ ما وَقَعَ في أيديهم، لا يُبالُون أَمِنَ الدِّينِ كان، أم مِن الدُّنيا ؟! لأنهم سُفَهاءُ أغبياء، لا فِقْهَ عندهم ولا حكمة، بل مَدَارُ الأمْر عندهم علَى الهَوَىٰ والشَّهَوَات، فكُلُّ ما يَهْوونَهُ يَرْكَبُونه، لا يَرُدُّهم دِينٌ ولا عَقْلَ، كيف لا ؛ وهُم لا عُقُول لهم ؟!

وبمثل هؤلاء يُسَفِّهُ أهلُ السُّنة وعلماءُ الأُمَّة الرَّبَّانِيُّون الذين قد وافَقَ قولَهُم فِعْلَهم، لا خُلْفَ عندهم في ذلك، عَلِمُوا وعَمِلُوا وعَلَّمُوا، بِهم يُقام الدِّينُ وتُرفَعُ شعائِرُه، وبِهم يُذَبُّ عن السُّنة ويُدافَعُ عنها، وبِهم يُحارَبُ أهلُ البدع والأهواء، ويُفْضَحُ أَمْرُهُم علىٰ رُؤُوس الأَشْهَاد، ويُقْهَرون، ويُذَلُّون، ويُسَفَّهون، ويُخْزَوْن، ويُبْعَدُون، ويُقْصَوْن، ومنهم يُحَذِّرُون، ولِبِدَعِهم يَكْشِفون، ولِمَكْرِهم وغِشِّهم وحِيَلِهم وكذبِهم وتدليسهم يُظْهِرُون، لا يألون في ذلك جهدًا ولا سبيلًا، عاشوا دُنياهم لله، وبالله، وفِي الله، وعلىٰ أمر الله ورسوله، علىٰ مِثل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأَصْحَابُهُ الكِرَامُ الأطهار رضي الله عنهم.

وإنَّ المُتأمِّلَ بعين بصيرته في أحوال الدَّعوة السَّلَفية الحَقَّة -حفظها الله وصانَها مِن عَبَثِ العابثين وهَوَى المُنحَرِفين- لَيَجِدُ ابتداءً: ندرةً عظيمةً في العلماء الرَّبَّانيين، وهُم قِلَّةٌ قليلةٌ في كل زمانٍ ومكانٍ بعد القرونِ الثلاثةِ الأُوَلِ الخيرية، وقد تَجِدُ مَن وَهَبَهُ اللهُ العِلْمَ مع إحْرَام خصلةٍ مِنْ خِصالِ الرَّبَّانيين فلا يصدق عليه ذلك.

ثُمَّ يَجِدُ المُتأمِّلُ مُتعلِّمين علىٰ سبيل نَجَاةٍ، وهُم غالِبُ الدُّعاة إلَى الله علىٰ بصيرةٍ، الَّذين يَبْدَؤُون بأَنْفُسِهم فيُعَلِّمُونَها لِتَنْجُوَ ابْتِدَاءً مِن الهَلَكَة، وذلك بتَعَلُّم الفَرَائضِ والواجباتِ، والسُّنَنِ والمُسْتَحَبَّاتِ لِيأْتُوها، والحَرام والمَكْرُوهِ لِيَجْتَنبُوه، وقد يُحَوِّلُون المُباحَ الجَائِزَ إلىٰ مَنْدُوبٍ إليه بحُسْنِ النِّيَّة، ثُمَّ تَجِدُهم يجتهدون في تَعَدِّي نَفْعِ ما عَلِمُوهُ إلىٰ غيرهم، لِيعمَّ الخيرُ الناسَ أجمعين ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا، فتَجِدُهم يُحَقِّقُون مسائلَ الشريعة مسألةً مسألةً، والمُجتهدُ غيرُ المُقَصِّرِ منهم، الحاملُ لِهَمِّ الدعوة إلَى الله ؛ ليس بينه وبين درجة العالِم الرَّبَّانِيِّ إلَّا الاتِّسَاع فِي الاطِّلاع والتَّعَلُّم والبحث والنَّظَر علىٰ منهج الاستدلال السَّلَفيِّ الصحيح، منهجِ الدليل -إذِ العِلْمُ ما جاء به الدليلُ- فكان أمْرُهم علَى العِلْمِ والعَمَلِ والدعوة إليهما.

### * بيان صفات الهَمَج الرَّعاع وأخلاقهم وأحوالهم:

وبين الرَّبانِيِّ والمُتَعَلِّم علىٰ سبيل النَّجاة ؛ تَجِدُ فِي سُبُل الدَّعْوَة مُتَسَكِّعِين، مُتَنَطِّعِين، مُتَفَلْسِفِين، مُتَبَجِّحِين، مُتَسَفِّهين، سُفَهاءَ، جُهَلاءَ، لا ناقةَ لَهُم ولا جَمَلَ في عِلْمٍ ولا تعليم، أَرَادُوا أن يُزاحِمُوا الرَّبَّانِيِّين والمُتَعلِّمين علىٰ سبيل نجاةٍ، فيما وَصَلوا إليه بجهدهم ونَصَبِهِم وحَمْلِهم للهُمُوم، فما كان بين أيديهم لهذه المُزاحَمَةِ إلَّا الكذب والغش والحِيَل والمَكْر والتَّزَيُّنِ بما لَمْ يُعْطَوْا، ولَيِّ الأَلْسُنِ بالجهالات لِتَحْسَبُوهُ مِن العُلُوم، وما هو مِن العُلُوم، والرغبة في التصدُّر والتكلُّم في دِين الله، وحب الظهور والتَّرأُّس وكثرة السَّوادِ حَوْلهم، وكانت الأداةُ الفعَّالةُ لِإفسادِهم وتخريبهم هي: «الإنترنت»، وصفحات «الفيس بوك»، فيخرج السَّفِيهُ الإمَّعَةُ الجهولُ منهم -وكُلُّهُم كذلك- لِيُنَفِّسَ عن النَّقْص الشديد الذي أُصِيبَ به

مِن قِلَّة العِلْم، وانعدام التَّمَيُّز بدرجةٍ مِن الدَّرَجاتِ العِلْمِيَّة الدَّعَوِيَّة، فيخرج لِيُسَفِّهَ مِمَّن عَجَزَ هو أن يَصِلَ إلىٰ دَرَجَتِهم -وأَنَّىٰ له هذا ؟!- فيصير حالُهُ حالَ مكروبٍ مهمومٍ بأوجاع الجهل والخِذْلان والنَّقْص النفسيِّ الذي يدفعه -في بعض الأحيان- إلَى ادِّعاء ما ليس له ؛ لأنه سَفِيهٌ مريضٌ ناقصٌ مَوْتُورٌ، لا يرىٰ أمامه ولا يسعىٰ إلَّا فيما يُقِيمُ حالَهُ ويُصلِحُ عِوَجَهُ في أعين الناس، بالزُّورِ والبُهْتانِ والتَّشَبُّع بما لَمْ يُعْطَ، وأَمْرُهُ بَيِّنٌ جَلِيٌّ مكشوفٌ عند أهل البصيرة، وحاله: كالهِرِّ يَحْكِي انْتِفَاخًا صَوْلَةَ الأَسَدِ، وهو دائمًا -كأُنْمُوذَج للهَمَج الرَّعاع- في دائرةٍ مغلقةٍ، تدفعه دَفْعًا لِاسْتِحداث الوسائل والطُّرُقِ التي يعلو بِها اسْمُه، ويذيع صِيتُه -زعمًا منه- ولو بالباطل ؛ حتىٰ يتمرَّسَ علىٰ أنواعه ؛ حتىٰ يصبحَ مُدافِعًا عن الباطل، قائمًا به وله.

والحاصل أنَّهم طَوائِفُ شَتَّىٰ، وأصنافُ عِدَّة، كُلُّهُم علىٰ قَلْب رَجُل واحدٍ، وصِفاتٍ واحدة، فيَتَقَوَّىٰ بعضُهم ببعضٍ ؛ حتىٰ صارَتْ منهم جماعةٌ وفِرْقَةٌ تَصُدُّ عن الحَقِّ، وتدعو إلَى الباطل والضلال، بِاسْم السُّنة والدعوة إلَى الله !

ولقد عَلِمْتُ أَمْرَهُم وخَبَرْتُهُ، فمنهم مَن دَنَّسَ لِحْيَتَهُ علىٰ صفحات «الإنترنت»، وفي الطُّرُقات، بعلاقاتٍ نسائية مُحَرَّمة، قد سُجِّلَ له طَرَفٌ منها، وهذا الأُنموذجُ مثالٌ لرؤوسهم !! فما ظَنُّكَ بأذْيالِهم ؟!

الهِرُّ منهم يُحْبَسُ نِصْفَ يوم، فيقول إخوانُهُ مِن الجُرْذان: شيخَ المِحْنةِ يا رمضان ! ألَا شاهَتْ وُجُوهُ الخِرْفان، وطُمِسَتْ كلماتُ الخَرْفان !

الهِرُّ منهم يُقَبِّلُ رأسَ الرَّجُلِ مِنْ أهل السُّنة، وبين عَشِيَّةٍ وضُحاها ؛ يُسَفِّهُهُ بِهَوًى وبُهْتٍ !

ومنهم مَن تَوَرَّطَ فِي مُعامَلاتٍ مالِيَّة تُشِينُ العَامِيَّ -فَضْلًا عمَّن يَدَّعي أنه مِن طلبة العِلْم!- وأنا أعْرِفُهم بأَسْمائهم، ومنهم ... ، ومنهم ...

فِي منظومةٍ أخلاقيةٍ نَتِنَةٍ عَفِنَة، قد فاحتْ رائحتُهم، وعَمَّتْ فضائحُهم ونَتَنُهم، وهُم بِهذه الشَّاكِلَة يرغبون فِي تعليم الناسِ دِينَهم !

### * ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ﴾ :

فإذا كان ذلك كذلك ؛ فقد تَنَزَّلَ عليهم قولُهُ تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، فَهُم الزَّبَدُ بِعَيْنِهِ، هُم الغُثاءُ والغباء.

والأصل أنَّ الهَمَجَ الرَّعاع لا يُلْتَفَتُ إليهم ولا يُؤْبَهُ بِهم، غير أنَّ قِلَّةَ العِلْم، وكثرةَ المَكْرِ والحِيَل، وذيوعَ الجهل وانتشاره بين طلبة العِلْم، فضلًا عن عوامِّ الناس، جَعَلَ لِمِثْلِ هؤلاء وُجُودًا فِي الواقع، كما أَثَّرَ الإخوانُ المسلمون فِي واقع بلاد المسلمين، مع عِلْمِ البصير أنَّهم لا شيء، وقد يتعيَّنُ في بعض الأحايين شرحُ الواضحات، وتَبْيِين البَيِّنات، وتَجْلِيَةُ الجَلِيَّات.

أَضِفْ إلىٰ ذلك، عنصر الاحتياج المالي الذي ابْتُلِيَ به الكثير مِن طلبة العِلْم، وهو عنصرٌ فعَّالٌ فِي تغيير الحَقِّ، وتشويه المُعْتَقَد، وتصيير الصدقِ كذبًا، والعالِم جاهِلًا، والرَّأْسِ فِي الذَّبِّ عن السُّنة مُبْتَدِعًا، كما فِي الحديث الصحيح: (( **إنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتي: المَالُ** ))(١).

ولا يكون ذلك إلَّا مِن سوء الظن بالله ﷻ، وغياب اليقين بحِكْمَتهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والجهل المُفْرِط بأصول السُّنة.

### * قُطَّاعُ الطريق إلَى الله :

ولقد ترَكَ الهَمَجُ الرَّعاعُ -جُرْذانُ أهلِ السُّنة- أَهلَ البدع والأهواء، والْتَفَتُوا الْتِفَاتَةً كُلِّيَّةً إلىٰ مَنْ خالَفَ هَوَاهُم مِنْ أهل السُّنة، فنَشَطُوا فِي تسفيههِ، والنَّيْلِ منه، وهذا مُؤشِّرٌ خطيرٌ علىٰ تآكُلِ دَعْوَةِ أهل السُّنة ؛ لِفَسَادِ الوَسَطِ الدَّعَوِيِّ، وكثرة الجهل، وإلَّا ؛ فلا تؤثِّر دعوةُ الباطلِ علَى الحَقِّ، فتَجِدهم يُسَفِّهُون ويُحَذِّرون مِنْ أهل السُّنة فِي القُرىٰ والأمصار، ولا يكون تحذيرهم إلَّا سَبَبًا فِي تمكين دعوة أهل السُّنة فِي القُرىٰ والأمصار، بإذن الله.

---

(١) رواه الترمذيُّ في سُننه (٢٣٣٦) وقال: «حديث حسنٌ صحيح»، والحاكمُ في «المستدرك» (٧٨٩٦) وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وأحمدُ في «المسند» (١٧٤٠١).

غير أنه: غلبةُ الدَّخَل، والدَّغَل، والحِقْد، والحَسَد، وفسادِ القلوب علىٰ أصحابها، فيفتضحون علىٰ ألْسِنَة أنفسِهم، وليسوا علىٰ شيءٍ، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]٠

لقد تَحَوَّلَتْ طَوائِفُ مِن طَلَبة العِلْم إلىٰ عصاباتٍ، وبَلْطَجِيَّةٍ، وشَبِّيحَةٍ، وقُطَّاعِ الطريق إلَى الله، بِاسْمِ الله ورسولهِ ﷺ ومنهج السَّلَف ! أَمْرُهُم إلىٰ خسارةٍ وتَلَف، وبُهْتانٍ وعصيانٍ وسَخَف، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]٠

ولذلك تَجِدُ هؤلاء الجُرذان قد تجَسَّدَ الغباءُ -كُلّ الغباء- فِي أشخاصهم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]٠

ومع كل ما وصفتُ به هؤلاءِ العُمْيَ ؛ فهذا مِن باب إحسان الظَّنِّ بِهم ؛ لِأَنَّنِي -علىٰ ظاهِر ما تقدَّمَ- لا أُخْرِجُهُم مِن دائرة السُّنة ؛ لكن لَمَّا تأمَّلْتُ فِي بُغْضِهِم الشديد، ودَأبِهم فِي الصَّدِّ عمَّن اشْتُهِرَ عنه أنه كالصَّارِم المَسْلُول علَى المُبْتَدِعة فِي سُنة رسولِ الله ﷺ ، ومعرفتي أنَّ بعضَهم كان -وما زال خُفْيَةً- مِن المُقَرَّبين ممَّن بدَّعَهُم العُلماءُ، وأخْرَجُوهم مِن دائرة أهل السُّنة إلىٰ هاوية الابتداع ؛ عَلِمْتُ أنَّ الأمْرَ فِي أصلهِ وحقيقتهِ صراعٌ بين السُّنةِ وأهلِها، والبدعةِ وأهلِها، فِي بعض وجوه هذه الصِّراعات الزَّائفة، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]٠

**قال ابنُ منظورٍ فِي «لسان العرب» (٢١/ ١٨٠٣) (زب د) :**

(( زَبَدُ اللَّبَن: رَغْوَتُه ، والزُّبْدُ -بالضَّمِّ- خُلاصَة اللَّبَن )) اهـ٠

**قال الحافظ ابنُ كثير في تفسيره (٤/ ٢٨٣) :**

(( ولهذا قال: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ أيْ: لا يُنْتَفَعُ به ؛ بل يتفرَّق ويتمزَّق ويذهب فِي جانِبَي الوادِي، ويَعْلَقُ بالشَّجَر، وتَنْسِفُهُ الرِّياحُ، وكذلك خبثُ الذَّهَب والفِضَّةِ والحديدِ والنُّحاسِ ؛ يذهبُ لا يرجع منه شيءٌ، ولا يبقىٰ إلَّا الماءُ وذلك الذهب ونحوه يُنْتَفَعُ به )) اهـ٠

**وقال القرطبي فِي تفسيره (٩/ ٢١٥) :**

(( وهو أنَّ المَثَلَيْنِ ضَرَبَهُما اللهُ للحقِّ في ثباتِه، والباطلِ في اضمحلالِه، فالباطلُ وإنْ عَلا فِي بعض الأحوال ؛ فإنه يضمحلُّ كاضمحلال الزَّبَدِ والخبث )) اهـ٠

والذي ينبغي علىٰ كُلِّ مَن ادَّعىٰ أنه سَلَفِيٌّ، نصرةُ السُّنة وأهلِها، ولو كان منهم مَن قَتَلَ أباه أو وَلَدَهُ ؛ فإنَّ الضابطَ الذي تُقامُ به المُعامَلاتُ، والمُعَوَّلَ عليه الذي يحكم التصرُّفات، هو: صلاحُ المنهج واستقامته علىٰ مِثل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابهُ رضي الله عنهم ، وعلىٰ ذلك قامَتْ سُوقُ الحُبِّ والبُغْض، والمُوَالاةِ والمُعَادَاة، فإذا قامتْ علىٰ غيره هَلَكَ القومُ وأهلكوا، كحال الهَمَجِ الرَّعاعِ البُهْتِ المُتَمَرِّسِينَ للمُنكَرِ والكذبات، مَرَدُوا علَى النفاق والسيئات !

فهل يُزَاحِمُ الزُّبْدَ غُثاءٌ ، يَتَرَنَّحُ تَرَنُّحَ السَّكْران ونُهُوضَ المصاريع؟! وهل تُحَوِّلُ الحسراتُ والرَّغواتُ أحلامَ العاجزين مشاريع؟! وهل لِمَنْ خَرَّبَ السُّنَّةَ بِاسْمِها، له بِمَكْرِهِ وصَدِّهِ عنها إلَّا الفقاقيع؟!

شَتَّانَ بين الضَّمِّ والفَتْحِ يا رَعاع ! وهل يفهم الهَمَجُ البَعُوضُ المواضيع؟!

فنعوذ بالله مِن السَّفَهِ والغباء والغِلِّ المُدَمِّرِ لِأصحابه، وأن تَؤُولَ دِفَّةُ الدعوة إلَى الهَمَج الرَّعاع، فهُم يسعون إليها ليلَ نَهارَ، لا مَكَّنَهُم الله منها، وصَدَّهُم بِعِزَّتِهِ عنها، وحَفِظَ الله للمسلمين دِينَهم وسُنَّتَهم، بِزُبْدِ الدُّعاةِ الرَّبَّانِيِّين، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]٠

* * * * *

«الكلمة السادسة»

# مَكْتبةُ الجُبِّ ، وقَلَمُ الشَّظِيَّة !

صوتٌ مَبْحُوحٌ ؛ بل البَحُّ نفسُه ! يُسْمَعُ مِنْ غَيابَةِ جُبٍّ مهجور، لا يُؤَثِّر وَقْعُ صَوْتِهِ علىٰ برغُوثٍ يقف علىٰ شَفا الجُبِّ، ولا يأْبَهُ بِه، فالصوتُ: نبيحُ كِلاب، والجُبُّ عميقٌ، لا يستطيع ساكنوه أن يَصِلُوا إلىٰ حافَتِهِ، يعلو بعضُهُم فوق بعض، وينهش بعضُهُم بعضًا، ويأكل بعضُهُم بعضًا ؛ بل يُؤْكَلُ في الجُبِّ كُلُّ شيءٍ: الغائط والبول والعِظام والدِّماء ؛ حتىٰ تحوَّلَ الجُبُّ إلىٰ مُستنقَعِ دِماءٍ وصديدٍ وقَيْحٍ، وبقايا لَحْمٍ مُتناثِرٍ علىٰ أَعْظُمِ جِرَاء، يفتكُ القويُّ منهم بالضعيف، والكبير بالصغير، حتىٰ عَلَا علَى الرُّفاتِ والنَّتَنِ وجَماجم الجِراءِ طائفةٌ مِن الكِلَاب، وَصَلَتْ إلىٰ حافَة الجُبِّ، مُحَمَّلةً بصديدٍ وقَيْحٍ، يتأذَّىٰ منه الدُّودُ وهَوَامُّ الأرض !!

فخرجوا بشَبَقٍ متينٍ للافتراس والنَّهْش والتقطيع والدَّهْس، فلمَّا تمكَّنوا مِن الصعود إلَى الهاوية ! قُلِبَت الأجواءُ بنَتَنِ رائحَتِهم ؛ حتىٰ أغمىٰ مِن شِدَّتِها بعضُ الخَلْق، فهَجَمَتْ عليهم الكلابُ أَكْلًا ونَهْشًا وتقطيعًا، وشُرْبًا لدمائهم، وتكسيرًا لعظامهم ؛ حتىٰ شَبِعُوا وارْتَوَوْا، ثُمَّ نامُوا تحت أدِيم السَّماء علىٰ قطعةٍ رَمْلِيَّة مِن الوادي، فلمَّا اسْتيقظوا أكْمَلُوا مَسِيرَهُم ؛ حتىٰ وَجَدُوا عَيْنَ ماءٍ مُتَدَفِّقَةً مِن رأس جَبَلٍ، وفي الأفُقِ تبدو لهم مساكنُ مدينةٍ مُكْتَظَّةٍ بالسُّكَّان، وفِي رأس الجبل الَّذي منه تتفجَّرُ عينُ الماءِ الصافية الزُّلال، علىٰ شَظِيَّةٍ منه -وهي القطعة المرتفعة فِي رأس الجبل- يسكُنُ رَجُلٌ فِي فُسْطاطٍ، قد اعْتَزَلَ النَّاسَ، فَلَفَتَ تَرَكُّعُهُ وسُجُودُهُ أنظارَ طائفة الكلاب ؛ ولكنها عَجَزَتْ عن الوصول إليه ؛ إذِ الجبلُ لا يستطيعُ أَحَدٌ تَسَلُّقَهِ مِن هذه الناحية المَلْساءِ غير المُدَبَّبَةِ ذاتِ البُروز، فظَلُّوا ينظُرون إليه.

أمَّا الفُسْطاطُ ؛ فلَوْنُهُ: لَوْنُ المِدَاد، وعمودُهُ: قَلَمٌ كَتَّابٌ، وأمَّا صاحبُ الفُسْطاطِ: فرَجُلٌ رَزَقَهُ اللهُ صَنْعَةً حَسَنةً يتعبَّدُ بِها إلَى الله، رأسُ مالِ الصَّنعة: رِيشَةٌ وإدَاوَةٌ هي مَحْبَرَةٌ، يَخُطُّ بِها بيمينِهِ ما فتح اللهُ به عليه مِن الْعِلْم، إنَّه هو العزيزُ الحكيم.

وللرِّيشةِ والمَحْبَرةِ سَنانِيرُ، تُلْقَىٰ بِحَوْلِ اللهِ وقُوَّتِهِ في بحار الكُتُب الصَّفراء، وأنْهار السَّلَفِ الصالح الكِرام، المَخْطُوطَة بنبض قلوبِهم، وجُوع بطونِهم، وحَمْلهم لِهُموم الأُمَّة ؛ حتىٰ خُطَّتْ كلماتُهُم في كُتُبِهم بِدِماءِ رجالٍ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليه، فحُفِرَتْ ورَسَخَتْ ؛ حتىٰ عَبَرتْ فِي الأَزْمِنة، فوَصَلَتْ إلىٰ مَن أراد اللهُ بِهم خيرًا، فيَعْلَقُ بالسَّنانِير بعضُ هذا الخير، رِزْقًا للعِباد، يتذوَّقُهُ عُقلاءُ الرِّجال، وسُلَماءُ الفِطَر، فيَنْهَلُون منه مُتَلَذِّذِينَ، مُتَفَكِّرِينَ، مُتَعَلِّمِينَ، شاكِرِينَ لصاحب السَّنانير جهدَهُ وسَعْيَهُ ونَصَبَهُ، وقد عَمَّهُ منهم الثَّناءُ العَطِر، والكلامُ النَّضِير؛ حتىٰ فاحَ فِي رأس الجبل رِيحٌ طَيِّبة، جَذَبَتْ إلَى الفُسْطاطِ أنظارَ رِجالٍ قد داعَبَتْها وغازلَتْها ونافقَتْها وداهَنَتْها وأحاطَتْ بِها أقلامٌ وأقلامٌ وأقلام ؛ حتىٰ لا ترىٰ أعْيُنُهم ما خَطَّهُ قَلَمُ الفُسْطاطِ الكَتَّابُ ذُو السَّنانير.

وظاهِرُ صاحب الشَّظِيَّةِ وباطِنُهُ: الإعراضُ عن أنظار الرِّجال وأَعْيُنِهم ؛ إذْ قد تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِمَن يُوَفِّقُهُ ويُسَدِّدُهُ -بِلا حَوْلٍ منه ولا قُوَّةٍ- لِمَا يَخُطُّهُ بيمينِهِ ؛ لِعِلْمِهِ اليقينيِّ العَقَدِيِّ العَمَلِيِّ بقوله تعالىٰ: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، فجَمَعَ صاحبُ الشَّظِيَّةِ هَمَّهُ فِي قَلَمِهِ ذي السَّنانير، والتي قد عَلِقَ بِها -رغْمًا عنه- أَعْيُنُ الرِّجال، مِن غير سَعْيٍ منه ولا قَصْد، فخَشِيَ أصحابُ الأقلام الزَّائِفَةِ المُتَشَبِّعَةِ بِما لَمْ تُعْطَ ؛ علىٰ جَاهِهِم وصِيتِهِم، فأَعَدُّوا عُدَّتَهُم لِتَشْوِيهِ ما قَدَّرَ اللهُ كِتابَتَهُ فوق رأس الجبل فِي الفُسْطاط تحت أَدِيم السماء الزرقاء الصافية، فقَدَّرَ اللهُ أن يَصِلَهُ أَذَاهُم مِن سِنين، وهو منهم قد فَرَّ، لا يبتغي دُنْياهُم ولا شُهْرَتَهُم، ولا الْتِفافَ الناس حَوْلَهُ، ولا يريد منهم جَزاءً ولا شُكُورًا، ومَن يَرْكَلُ الدُّنيا تأتيه مُرْغَمَةً، ومَن يريدُها تُذِلُّهُ.

ووَصَلَت الكلابُ المدينةَ، وانتشرَتْ فيها واسْتَقَرَّتْ، وأَنْجَبَتْ وفرَّخَتْ وشبعت، وتلَقَّاها أَشْبَاهُ الرِّجال ورَوَّضُوها واستعمَلوها فِي دُنْياهُم ومَصَالِحِهم ؛ حتىٰ صار الكثيرُ مِن الناس يتسابقون إلىٰ شِرائها واقْتِنائها، وهذا حالُ عامَّتِهم.

ثُمَّ احتاجَ بعضُ أصحاب الأقلام إلىٰ كلابِ حِراسة، فأَعْجَبَهُم بعضُ كلاب الجُبِّ التي أَلِفَتْهُم وأَلِفُوها، فأَثَّرَ بعضُهُم علىٰ بعض، فنَشَأَ جِيلٌ قد اجْتهَدوا فِي صِناعَةِ مَكْتَبةٍ ينتفعُ بِها المسلمون -زعموا- فوَقَعَ اخْتِيارُهم علىٰ هذا الاسْم: «**مكتبة الجُبِّ**» ! فانتفَعَ بما في الجُبِّ مَنْ أرادَ اللهُ له -بما قدَّمَتْ يداهُ- الانتفاعَ علىٰ هذا الوَجْهِ مِن الانتفاع المُنْتِن !

فنشأَتْ فيهم نابِتَةٌ هَوَتِ التكلُّمَ في دِين الله والكتابةَ فيه، فكانتْ أقلامهم عِظام الجِرَاء، ومِدَادهم دِماء الجُبِّ وقَيْحه وصديده، وكُلُّ إناءٍ ينضحُ بما فيه، فأَنِفَ منهم ومِن كِتابتهم كُلُّ ذي حِسٍّ سليم، وشَمٍّ قويم، ومنهجٍ مستقيم ؛ ولكنَّ الجِرَاءَ لا يفهمون ؛ بل ينبحون وينهشون، ولا ينهشون إلَّا أنفسَهم وهم لا يعلمون !

ثُمَّ أَجْمَعَ القومُ جَمْعَهُم، وذَهَبُوا بكلابِهم إلىٰ أسفل الجبل الَّذي يقطنُ فيه صاحبُ الشَّظِيَّة، لا هَمَّ لَهُم إلَّا أَخْذُ الفُسْطاطِ والقَلَم ؛ ولو قَتلوا صاحِبَه، ظَنًّا منهم أنَّ سِرَّ الصَّنعةِ نَفْسُ المكان، ونَفْسُ القَلَم !

وهكذا يُفَكِّرُ العَجَزَة، ويعتقدُ الحَسَدَة، ومَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين.

فلَمَّا وَصَلُوا إلىٰ عين الماء الصافية المُتفجِّرة تحت الجبل؛ وَجَدُوا الجبلَ صَفْوانَ أَمْلَسَ مِن كُلِّ جوانبه ! ؛ وليس كذلك، وإلَّا ما صَعَدَ صاحبُ الشَّظِيَّة ؛ ولكنه فَضْلُ الله يُؤْتِيه مَن يشاء.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

فلَمَّا اسْتَيْأَسُوا خَلَصُوا نَجِيًّا، ورَدَّ اللهُ الذين ظَلَمُوا بغَيْظِهِم لَمْ يَنالُوا خيرًا، فرَجَعُوا حَسَارىٰ خَزايا.

ولا يزالُ عبيرُ القَلَم الكَتَّاب يفوحُ فِي رأس الجبل، يسعد به رِجالُ القُرىٰ والأمصار؛ بل عَبَرَ العَبِيرُ -بفضل الله تعالىٰ ومَنِّهِ، والذي لا تتمُّ الصالحاتِ إلَّا به- إلىٰ عشرات الدُّوَل، رغم كَيْد الكائدين، وحقد الحاقدين، وتَزْيِيف المُبْطِلين، وتشبُّع المُتشَبِّعينَ بما لَمْ يُعْطَوْا، طالِبي الدُّنيا ومُتَنافِسِيها، البَحَّاثينَ عن الشُّهْرة !

* * * * *

«الكلمة السابعة»

# طلبة العِلم بين التزْكية و التذْكية !

*** شروط التَّصَدُّر للتكلُّم في دِين الله :**

لقد تكلَّمَ أهلُ الأصُول في كُتُبِهم، في أبواب الاجتهاد والإفتاء، عن الشروط التي لا بُدَّ لِمَنْ أرادَ أن يتكلَّمَ في دِين الله -فَضْلًا عن الكتابة فيه- أن يتحَصَّنَ بِها، ويُحَصِّلَها علىٰ مَرِّ السِّنين؛ حتَّىٰ يَقْوَىٰ عُودُهُ، ويتمكَّن مِن التكلُّم بعِلْمٍ وأصولٍ وقواعدَ مُنضَبطة مستقيمة فِي هذا الدِّين المَتِين.

فمِمَّن فصَّلَ القولَ في ذلك: الخطيبُ البغداديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «الفقيه والمتفقِّه» (٢/ ١٥٥-١٦٠)، فكان ممَّا قال، تحت باب: «ما جاء مِن الوعيد لِمَن أفتىٰ وليس هو مِن أهل الفتوىٰ»، فروىٰ بسَنَدِه:

(( أنا ... عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ : «**مَن تَقَوَّلَ عَلَيَّ ما لَمْ أَقُلْ، فلْيتبَوَّأْ مقعدَهُ مِن النَّار، ومَن اسْتشارَهُ أَخُوهُ المُسْلِمُ، فأشارَ عليه بغير رُشْدٍ ؛ فقد خانَهُ، ومَن أُفْتِيَ بفُتْيَا بغير ثَبْتٍ ؛ فإنَّما إثْمُهُ علىٰ مَن أفتاهُ**».

أَخْبَرَنِي ... عن ابن عباسٍ أنه قال:«**مَن أَفْتَى النَّاسَ بفُتْيَا يَعْمَىٰ عنها ؛ فإنَّما إثْمُهُ عليه**» )) اهـ.

وهذا الحديث رواه أحمدُ في «المسند» (٨٢٤٩) بسندٍ صحَّحه الشيخُ أحمد شاكر فِي تعليقه علَى «المسند»، ورواه البخاري فِي «الأدب المفرد» (٢٥٩)، وصحَّحه الألبانِيُّ قال: «صحيحٌ لغيره»، وفِي «الصحيحة» (٣١٠٠)، ورواه البيهقيُّ فِي «السُّنن الكبرىٰ» (١٠/ ١١٢-١١٦)، وروَى ابنُ ماجه شَطْرَهُ الأوَّل في مُقدِّمة سُنَنِهِ (٣٥)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤٣٦)، وقال: «هذا حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط الشيخين، ولَمْ يُخرِّجاه، ولا أعرف له عِلَّة»، ووافقه الذهبي في «التلخيص» تمامًا، وذَكَرَهُ السيوطيُّ في «الجامع الصغير» (٨٤٩٠) وصححه.

**ثُمَّ قال الخطيبُ البغداديُّ فِي «الفَقِيه والمُتفقِّه» (٢/ ١٥٦-١٦٠)، تحت باب: «ذِكْر شروط مَن يصلح للفتوىٰ» :**

(( أوَّلُ أَوْصَافِ المُفْتِي الذي يَلْزَمُ قبولُ فتواه: أن يكون بالِغًا ؛ لأنَّ الصَبِيَّ لا حُكْمَ لقوله، ثُمَّ يكون عاقلًا ؛ لأنَّ القَلَمَ مرفوعٌ عن المجنون لعدم عقله، ثُمَّ يكون عَدْلًا ثِقَةً ؛ لأنَّ علماءَ المسلمين لَمْ يختلفوا فِي أنَّ الفاسقَ غير مقبول الفتوىٰ فِي أحكام الدِّين ؛ وإن كان بَصِيرًا بها ٠

وسواء كان حُرًّا أو عَبْدًا ؛ فإنَّ الحُرِّيَّة ليستْ شَرْطًا فِي صِحَّة الفتوىٰ ٠

ثُمَّ يكون عالمًا بالأحكام الشرعية، وعِلْمُهُ بِها يشتمل علىٰ: معرفته بأصولها، وارتياضٍ بفروعها ٠

*** وأصول الأحكام فِي الشرع أربعة :**

**أحدها**: العِلْم بكتاب الله علَى الوجه الذي تصحُّ به معرفةُ ما تضَمَّنَهُ مِن الأحكام: مُحْكَمًا ومتشابِهًا، وعُمُومًا وخُصُوصًا، ومُجْمَلًا ومُفَسَّرًا، وناسِخًا ومنسوخًا ٠

**والثاني**: العِلْم بسُنَّةِ رسولِ الله ﷺ الثابتة مِن أقواله وأفعاله، وطُرُق مجيئها فِي التواتر والآحاد، والصِّحة والفساد، وما كان منها علىٰ سَبَبٍ أو إطلاق ٠

**والثالث**: العِلْم بأقاويل السَّلَف فيما أجمعوا عليه، واختلفوا فيه ؛ لِيَتَّبِعَ الإجماع، ويجتهد فِي الرَّأي مع الاختلاف ٠

**والرابع**: العِلْم بالقياس المُوجِب لِرَدِّ الفروع المسكوت عنها إلَى الأصولِ المنطوقِ بِها، والمُجْمَعِ عليها ؛ حتىٰ يَجِدَ المُفْتي طريقًا إلَى العِلْم بأحكام النَّوازِلِ، وتمييز الحَقِّ مِن الباطل ٠

فهذا ما لا مَنْدُوحَةَ للمُفتي عنه، ولا يجوز له الإخلالُ بشيءٍ منه ٠

أنا ... عن ابن سيرين، قال: قال حُذيفة: «لا يُفْتِي الناسَ إلَّا ثلاثةٌ: رَجُلٌ قد عَرَفَ ناسِخَ القرآنِ ومنسُوخَهُ، أو أميرٌ لا يَجِدُ بُدًّا، أو أحمقُ مُتكَلِّفٌ» ٠

أَخْبَرَنِي ... قال الشافعيُّ: «لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أن يُفْتِيَ في دِين الله؛ إلَّا رَجُلًا عارِفًا بكتاب الله: بناسخِهِ ومنسوخِهِ، وبمُحكمِهِ ومُتشابِهِهِ، وتأويلِهِ وتَنْزِيلِهِ، ومَكِيِّهِ ومَدَنِيِّهِ، وما أُرِيدَ به، وفيما أُنْزِلَ، ثُمَّ يكون بعد ذلك بَصِيرًا بحديث رسول الله ﷺ، وبالناسخ والمنسوخ، ويعرف مِن الحديث مثل ما عرفَ مِن القرآن، ويكون بَصِيرًا باللُّغة، بصيرًا بالشِّعْر، وما يحتاج إليه للعِلْم والقُرآن، ويستعمل مع هذا: الإنصافَ وقِلَّةَ الكَلام، ويكون بعد هذا مُشْرِفًا علَى اختلاف أهل الأمصار، ويكون له قريحةٌ بعد هذا، فإذا كان هذا هكذا ؛ فلَهُ أن يتكلَّمَ ويُفْتِيَ في الحَلال والحَرام، وإذا لَمْ يَكُنْ هكذا ؛ فلَهُ أن يتكلَّمَ فِي العِلْم ولا يُفْتِي» .

قرأتُ علىٰ ... ، «نا» صالح -يعني: ابن أحمد بن حنبل- أنه قال لأبيه: ما تقول فِي الرَّجُل يُسْأل عن الشيءِ فيُجيب بما في الحديث، وليس بعالمٍ بالفُتْيا؟ قال: «ينبغي للرَّجُل إذا حَمَلَ نفسَهُ علَى الفُتْيا: أن يكون عالِمًا بالسُّنَن، عالمًا بِوُجُوهِ القُرآن، عالِمًا بالأسانيد الصحيحة، وإنَّما جاء خِلافُ مَن خالَفَ لِقِلَّةِ معرفتهم بما جاء عن النبيِّ فِي السُّنة، وقِلَّة معرفتهم بصحيحها مِن سَقِيمِها» .

قرأتُ علىٰ ... عن ابن المبارك قال: قيل له: متىٰ يُفْتي الرَّجُلُ؟

قال: «إذا كان عالِمًا بالأثَر، بصيرًا بالرَّأْي» .

قلتُ [يعني: الخطيب البغدادي] : وينبغي أن يكون: قويَّ الاسْتِنْباط، جَيِّدَ المُلاحظة، رَصِينَ الفِكْر، صحيحَ الاعتبار، صاحبَ أناةٍ وتُؤَدَةٍ، وأخا اسْتِثْباتٍ وتَرْكِ عَجَلَةٍ، بَصِيرًا بما فيه المَصْلَحَةُ، مُستوقِفًا بالمُشاوَرَة، حافِظًا لِدِينِه، مُشْفِقًا علىٰ أهل مِلَّتِه، مُواظِبًا علىٰ مُرُوءَتِه، حريصًا علَى اسْتطابة مأْكَلِه؛ فإنَّ ذلك أوَّل أسباب التوفيق، مُتورِّعًا عن الشُّبهات، صادِفًا عن فاسد التأويلات، صليبًا في الحَقِّ، دائمَ الانشغال بمعادِن الفتوىٰ، وطُرُقِ الاجتهاد، ولا يكونُ ممَّن غَلَبَتْ عليهم الغفلةُ، واعْتَوَرَهُ دَوامُ السَّهَر، ولا موصوفًا بقِلَّةِ الضَّبط، مَنْعُوتًا بنقص الفَهْم، معروفًا بالاختلال، يُجِيبُ بما لا يَسْنَحُ له، ويُفْتِي بما يَخْفىٰ عليه ...

واعْلَمْ أنَّ العُلومَ كُلَّها أبارِيزُ الفقه، وليس دون الفقه عِلْمٌ إلَّا وصاحبُهُ يحتاجُ إلىٰ دون ما يحتاجُ إليه الفقيه ؛ لأنَّ الفقيه يحتاج أن يتعلَّق بِطَرَفٍ مِن معرفة كُلّ شيءٍ

مِن أمور الدنيا والآخِرة، وإلىٰ معرفة الجدِّ والهَزْل، والخِلافِ والضِّدِّ، والنَّفعِ والضَّرِّ، وأمورِ الناس الجارية بينهم، والعاداتِ المعروفة منهم.

فمِن شروطِ المُفْتِي النَّظَرُ فِي جميع ما ذَكَرْناهُ، ولن يُدْرِكَ ذلك إلَّا بِمُلاقاةِ الرِّجال، والاجتماع مع أهل النِّحَلِ وَالمَقَالَاتِ المُخْتَلِفة ومُساءَلَتِهم، وكَثْرةِ المُذاكَرةِ لَهُم، وجَمْعِ الكُتُبِ ودَرْسِها، ودَوامِ مُطَالَعَتِها ... )) اهـ.

**قلتُ**: هذا غَيْضٌ مِن فَيْضٍ، وقليلٌ مِن كثير، ولقد جَمَعْتُ كلامَ أهل العِلْمِ باسْتِفاضَةٍ وتفصيلٍ فِي كتابي: «**الفِلَذُ شرح النُّبَذ فِي أصول الفقه - لابْنِ حزمٍ الظاهريِّ**» (ص٤٨٩-٥٠٥).

**وممَّا قاله الشَّوْكَانِيُّ** رَحِمَهُ اللهُ **فِي كِتابه: «إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحَقِّ مِن عِلْم الأصول»** (٢/ ١٠٣٢) :

(( الشرط الرابع: أن يكون عالمًا بعِلْم أصول الفقه؛ لِاشتمالِهِ علىٰ ما تمسُّ الحاجَةُ إليه، وعليه أن يُطَوِّلَ الباعَ فيه، ويَطَّلِعَ علىٰ مختصَراتِهِ ومُطَوَّلاتِهِ بما تبلغ إليه طاقته، وعليه أيضًا أن ينظُر في كل مسألةٍ مِن مَسائلِهِ نظَرًا يُوَصِّلُهُ إلىٰ ما هو الحقُّ فيها، فإذا فعَلَ ذلك تمكَّنَ مِن رَدِّ الفُروع إلىٰ أصولِها بأيسرِ عمل، وإذا قصَّرَ في هذا الفنِّ صَعُبَ عليه الرَّدُّ، وخَبطَ فيه وخَلط.

قال الفخر الرَّازِيُّ فِي «المحصول» -وما أَحْسَنَ ما قال- : إنَّ أهمَّ العُلُوم للمُجتهِد: عِلْمُ أصول الفقه )) اهـ.

**قلتُ**: وإنَّ المُتأمِّلَ لِكَلام أهل العِلْم فِي هذا الباب، إذا أَنْزَلَهُ علىٰ مَن حَوْلَهُ مِمَّن يتكلَّمُ في دِين الله ؛ لَرَأَىٰ العَجَبَ العُجاب، ووَجَدَ الغُرْبَةَ الحقيقية، وانْفِصَالَ الواقع الدَّعَوِيِّ عن شُرُوط التكلُّم في دِين الله ؛ إلَّا النَّزْر اليسير ممَّن يُعَدُّونَ علىٰ أصابع اليد الواحدة !

فقد روَى البخاريُّ في صحيحه (٥٢٣١)، ومسلمٌ (٢٦٧١)، مِن حديث ابن مسعودٍ، وأبي موسَى الأشعريِّ، وأبي هريرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عن النبيِّ ﷺ قال: (( **إنَّ بين يَدِي الساعةِ أيَّامًا ينزِلُ فيها الجهلُ ويُرفَعُ فيها العِلْمُ** )) وفي روايةٍ لمسلم: (( **يُبَثُّ فيها الجهلُ** )).

وقد كان، وبُثَّ الجَهْلُ في الكثير مِن الشَّباب الذين يزعمون أنَّهم طلبةُ عِلْمٍ ؛ حتىٰ قال لي الشيخُ الفاضلُ الدكتور «**محمد سعيد رسلان**» -حفظه الله- فِي لقاءٍ معه منذ أيام، اسْتمرَّ لِسَاعَتَيْن، حيث تكلَّمتُ معه عن طلبة الفساد والإفساد مِمَّن يُسَمُّون أنفسَهُم طَلَبةَ عِلْم ؛ فقال لي: « **يا شيخ عيد ، أنتَ تُنزِلُهُم مَنْزِلَةً فوق طاقَتِهم، هؤلاء ليسوا بطلبة عِلْمٍ، أنا ما أرىٰ طالبَ عِلْم !!** » اهـ.

وحاصل المسألة: أنَّ جُلَّ هؤلاءِ الطَلَبة قد تَرَكُوا تمامًا -أو شِبْهَ التَّمام- ما ينبغي عليهم تحصيله مِن العُلوم الشرعية التي بدونها لَمْ ولن يتمكَّنوا مِن التكلُّم في الدِّين بالعِلْم والحَقِّ ؛ إذْ هذه الشروط المذكورة آنِفًا ؛ إنَّما يُحَصِّلُها الرِّجالُ، وهي بعيدةُ المَدَىٰ عن الصِّبيان والغِلْمان الذين مُلِئَتْ بِهم طرُقَاتُ الدَّعْوَةِ إلَى الله؛ بل هُمُ المُخَنَّثُون الذين لا يستطيعون إلَّا الكلام المُزَوَّق الخالي مِن المضمون والمعنَى الفِعْلِيِّ.

*** لُصُوصُ التَزْكِيَات :**

فلمَّا كان ذلك كذلك، وقصرتْ بِهم العزائمُ والهِمَمُ عن الاتِّصاف بصِفات طَلَبة العِلْم -فضلاً عن العلماء- وعَجَزُوا لِصِبْيانِيَّتِهم عن تحصيل شروط التكلُّم في دِين الله؛ رَكَنُوا إلَى الغِشِّ، والخديعة، والتدليس، والكذب، والتَّشَبُّع بما لَمْ يُعْطَوْا.

روىٰ مسلمٌ في صحيحه (٢١٢٩، ٢١٣٠)، مِن حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّ رسول الله ﷺ قال: (( **الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ ؛ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ** )).

**قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ٨٥) تحت باب: « النهي عن التزوير فِي اللِّباس وغيره، والتَّشبُّع بما لَمْ يُعْطَ» :**

(( قال العلماء: معناه: المُتَكَثِّرُ بما ليس عنده بأن يُظْهِرَ أنَّ عنده ما ليس عنده يَتَكَثَّرُ بذلك عند الناس ويَتَزَيَّنُ بالباطِلِ، فهو مذمومٌ كما يُذَمُّ مَن لَبِسَ ثَوْبَيْ زُورٍ.

قال أبو عُبَيدٍ وَآخَرُون: هو الَّذي يَلْبَسُ ثيابَ أهل الزُّهْدِ والعِبادةِ والوَرَع، ومَقْصُودُهُ أنْ يُظْهِرَ لِلناس أنَّهُ مُتَّصِفٌ بتِلْكَ الصِّفةِ، ويُظْهِرَ مِن التَّخَشُّعِ والزُّهْدِ أَكْثَرَ مِمَّا في قَلْبِهِ، فهذه ثِيابُ زُورٍ ورِياء )) اهـ.

**قلتُ**: فهؤلاء لَمَّا عجَزُوا عن الجهد والتعب والنَّصَب فِي تحصيل العِلْم، وتحقيق مَسائلِهِ، وحِفْظِ كِتابِهِ، وسُنَّةِ رسوله ﷺ ؛ رَكَنُوا إلَى التَّشبُّع بما لَمْ يُعطَوْا، فجعلوا غايَتَهُم الالْتِفافَ حول بعض مشايخ أهل السُّنة الطَّيِّبين الذين لا خِبرةَ لهم بمكرِ وخداعِ وخُبْثِ وقَذَرِ ونجاسةِ المُتَشَبِّعِينَ بما لَمْ يُعْطَوْا، فيتقرَّبون لهم بالدَّهاء والمكر؛ حتىٰ يسرقوا منهم ثناءً عليهم ليسوا أهلًا له، ولا مستحِقِّين لمعناه، فيتحايَل أحدُهم حتىٰ يتمكَّنَ مِن الضَّحِكِ علَى الشيخ الطَّيِّب، فيأخُذ منه تَزْكِيَةً يُطَيِّرُها فِي كُلِّ مكانٍ، يضحك بها علَى صِغار الشَّباب مِمَّن يُحِبُّون العِلْمَ والتَّعَلُّم ؛ حتىٰ إنَّ بعضَهم كان مِن أقرب الناس لِرَجُلٍ مبتدع بدَّعَهُ أهلُ العِلْم، ثُمَّ هو فِي بحر سَنَةٍ واحدةٍ ظَفَرَ بِثَناءٍ مِن بعض المشايخ الطَّيِّبين، يُخفِي به ضَعْفَهُ وخِزْيَهُ، وعَجْزَهُ عن تحصيل العِلْم والاتِّصاف به قولًا وعملًا ومُعْتَقَدًا.

ولقد نَشَطَ هؤلاءِ الخَدَّاعُون الماكِرُون الجُهَّالُ السُّفهاءُ فِي هذا الباب جِدًّا ؛ حتىٰ أصبحوا يتنافسون فيه، لدرجةِ أنْ أَصْبَحَ الضَّابطُ -عند الكثير ممَّن يُحِبُّ طَلَبَ العِلْم مِن الشَّباب الصِّغار- لمعرفة مَن يجوز له أن يتكلَّمَ فِي الدِّين أو لا يتكلَّم ؛ إنَّما هو الحصولُ علَى التَّزْكِيات !

ثُمَّ تزيد الطَّامَّةُ والفجيعةُ أن يتقمَّصَ هذا اللِّصُّ دَوْرَ العالِم، فيُزَكِّيَ غيرَه ! ويقال له -فيما بينهم- : «الشيخ فُلان»! ، فقامتْ فيهم المَشْيَخَةُ والتَّشْيِيخُ علىٰ ذلك، وحُقَّ لنا أن نُسَمِّيَ تَشَيُّخَهُم هذا بِلَفْظِ عَوامِّ المِصْرِيِّينَ للأطفال الرُّضَّع عندما يقضُونَ حوائجَهُم فِي ملابسِهِم، فيقولون: «الولد ...»، وهذا أقربُ وأحرىٰ بِهم ؛ لِمَا فاحَ منهم مِن رائحةٍ عَفِنة، وقَذَرٍ ونَجَاسَاتٍ عَقَدِيَّة وقلبيَّة، ونَتَنٍ أخلاقيٍّ !

ومِن هُنا يتكلَّمُ في الدِّيانة الرُّوَيْبِضَةُ، والسَّفيه، والجَهُول، والمُتَشَبِّعُ بما لَمْ يُعْطَ، ويُلَبِّسُون علَى الناس دِينَهُم.

وطَلَبةُ العِلْم العُقلاء -وهُم قِلَّةٌ قليلةٌ جِدًّا جِدًّا جِدًّا !- يعلمون هؤلاء ويخبرون أمْرَهُم جِدًّا، ويعلمون أنهم علىٰ لا شيء !! وأنَّ أمْرَهُم إلىٰ زَوال.

* **فرسالَتي لِأَبنائِي مِن طلبة العِلْم** : لا تَغْتَرُّوا بِهذه التَّزْكِيات، وانظُروا إلىٰ أعمال هؤلاءِ السُّفَهاء، وأقوالهم ؛ تَعْلَمُوا حقِيقَتَهُم.

* **ورسالتي لِمَن زَكَّىٰ مَن لَمْ يستحقّ التَّزكية** :

ثُمَّ إنِّي أقول لِمَن زَكَّىٰ هؤلاء: بارَكَ الله فيك، لقد لَعِبَ بك الصِّبْيانُ ! وأخَذُوا منك ما يُرِيدُون، وأفسَدُوا الدَّعوةَ والدِّين بِاسْمِكَ وصِيتِكَ، وأنت لا تَشْعُر ؛ بل بتَزْكِيَتِكَ لِهَؤلاءِ اللُّصوص قد «ذَكَّيْتَهُم» -بالذَّال- أيْ: ذَبَحْتَهُم[1]، ونَصَّبْتَهُم مكانًا ليسوا له بأهل، وفَتَنْتَ بِهم الطَّلَبةَ الصِّغارَ فِي العِلْم؛ ولَو كَبُرَ سِنُّهُم !! فَصِرْتَ تُفْسِدُ فِي الأرض بِهذه التَّزكيات لهؤلاء الثعابين والثعالب !

**قال الراغب الأصفهانِيُّ فِي «المفردات فِي غريب القرآن»** (ص١٨٠) :

(( وحقيقة التذكية: إخراج الحرارة الغَرِيزِيَّة؛ لكن خُصَّ فِي الشَّرْع بإبطال الحياة علىٰ وجهٍ دون وجه )) اهـ.

فأنتَ ذَبَحْتَهُم! وكان الواجب عليك زَجْرَهُم لِيَذْهَبُوا ويتعلَّموا ؛ حتىٰ يحينَ لهم أن يتكلَّموا فِي دِين الله.

**يا أهلَ السُّنة**: اتَّقُوا الله فِي طلبة العِلْم، ولا تَفْتِنُوهُم بِزُبالاتِ السُّفهاء المُتشبِّعين بما لَمْ يُعْطَوْا، فَتُزَكُّوا مَن لَمْ يستحِقَّ التَّزْكِية !!

وإنَّه لَفَرْضٌ علىٰ كُلِّ رَجُل يزعم أنه مِن أهل السُّنة، أن يَكُفَّ مَن ظَهَرَ منه التَّزكيات بلا ضوابطَ شرعية مُعْتَبَرة، وليس ثَمَّ عند المُزَكِّي -بكَسْر الكافِ- إلَّا الارتياح القلبيّ، وخِفَّة دَمِ المُزَكَّىٰ -بفتح الكاف- وقد أطاحَ بكُلِّ المَعايير والضوابط الحديثيَّة الشرعية فِي الحُكْم علَى الرِّجال !

* **فحالُ السَّاكِتِ أحدُ رَجُلَيْن** : إمَّا رَجُلٌ مُمَيِّعٌ ساكتٌ عن تغيير المُنكَر، أخرس، لا ينطق بالحقِّ، ولا يَقْدِر، وإمَّا رَجُلٌ له وَجْهُ اسْتِفادةٍ مِن هذا الهُراءِ والعَبَثِ الحادِثِ فِي مَجال الدَّعوة إلَى الله فِي مِصْرَ ، حَفِظَها اللهُ مِن المُفْسِدِين.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ [المائدة: ٣].

ولأنَّ الطَّيِّبِينَ مِن أهل السُّنة كثيرون ؛ فقد كَثُرَ البلاءُ بِهم فِي هذا الباب.

**فيا أهل السُّنة:** كونوا علىٰ حَذَرٍ مِن الحَيَّاتِ والعَقارِب والثعالب الماكرة «لصوص التَّزْكِية»؛ فإنَّهم يسعون جاهدين فِي تلميع أنفسِهم ووضْعِها مَنْزِلَةَ العالِم، وهُم سُفهاء.

ولقد كادَ «ابْنُ الكَيَّال» الأسْوانِيُّ الصَّعِيديُّ ؛ أن يُصَرِّحَ بالمُزَكِّي والمُزَكَّىٰ - معذِرةً إلىٰ رَبِّكُم، وتبليغًا للدِّين الذي يفسد بين المضحوك عليه والخبيث، بين المُزَكِّي والمُزَكَّىٰ- إذْ لا بُدَّ مِن البيان الذي عَجَزَ عنه الكثير، وضَاعَ الدِّينُ بين النِّفاق والسَّلْبِيَّة، وإلَى الله المُشْتكَىٰ، وهو حَسْبُنا ونِعْمَ الوكيل.

*** الشخصُ تُزَكِّيه أعماله وأقواله :**

**ولقد وَقَفْتُ علىٰ كلام طَيِّبٍ في هذا الشأن للشيخ الدكتور «أحمد عمر بازمول»، في لقاءٍ له مع بعض طلبة العِلْم، وهو يُقَرِّرُ لهم بعضَ القواعد ، فقال:**

(( فمِن ذلك: أن يعرف السَّلَفِيُّون أنَّ تزكيةَ العالِم لِطالِبِ العِلْم، ولِعالِمٍ غيرِه؛ لا تعني هذه التزكيةُ أنَّ ذلك العالِمَ معصومٌ ومقبولٌ في كُلِّ ما يقوله ؛ بل تزكيةُ العالِم هي دليلٌ علىٰ أنَّ الشخصَ مِن المقبولين، ثُمَّ يُنظَرُ فِي أقوالِهِ وأعمالِهِ، فإن كانت مُطابِقةً لهذه التزكية، مِن حيث كونه سَلَفِيًّا ومُتَمَسِّكًا بالسُّنة ؛ فهذا كما قال الشيخ ربيع -حفظه الله تعالىٰ- : «**الشخصُ تُزَكِّيهِ أعمالُهُ وأقوالُهُ**».

أمَّا إذا كانت التزكيةُ لشخصٍ ظَهَرَ منه بعد ذلك أمُورٌ تُخالِفُ المنهجَ السَّلَفِيَّ، فإنَّ هذه التزكيةَ لا تنفعه ؛ لأنَّ العِبرةَ -كما سَبَقَ- بالمنهج الذي يسِيرُ عليه، والعالِمُ إنَّما زَكَّىٰ ما ظَهَرَ مِن حالِ هذا الرَّجُل.

ثُمَّ إنَّ الشخص الَّذي يحصل علىٰ تزكية العلماء، ثُمَّ يظهر منه أمورٌ مُخالِفَةٌ لِمنهج السَّلَف ؛ هذا دليلٌ علىٰ خُبْثِ نِيَّتِهِ وطَوِيَّتِهِ ؛ لأنه أراد أن يتَوصَّلَ بِهذه التزكيات إلَى الْتِفافِ الشَّباب حَوْلَهُ، والاستفادةِ منه، ثُمَّ يَبُثُّ منهجَهُ المُخالِف.

وأيضًا، كما نعلم أنَّ الشخصَ قد يُزَكَّىٰ بمنهجه السَّلَفِيِّ، ثُمَّ بعد ذلك قد ينحَرِف عن الحَقِّ، فهو عندما زَكَّاهُ العلماءُ كان سَلَفِيًّا، ثُمَّ كما قال السَّلَفُ: «الحَيُّ لا تُؤْمَنُ عليه الفِتْنَةُ».

**فإذًا ؛ الخلاصةُ مِن هذه القاعدة** : أن لا يجعل الشَّبابُ السَّلَفِيُّ تَزْكِيَةَ العُلماءِ لبعض طُلَّاب العِلْم أو الدُّعاة ؛ صُكُوكَ غُفْرَان ! فلا يُظَنَّ بِهذا المُزَكَّىٰ أنه السَّلَفِيُّ إلىٰ أن يموت، فهذا خَطَأٌ ، فكَم مِن رَجُلٍ زَكَّاهُ العلماءُ ، ثُمَّ انْحَرَفَ عن الحَقِّ ! فما تنفعه هذه التزكية.

ثُمَّ -كما سبق- تزكيةُ العلماء إنَّما هي بِناءً علىٰ تَمَسُّكِهِ بالمنهج السَّلَفِيِّ ؛ فإن خالَفَ المنهجَ السَّلَفِيِّ ؛ فلا تنطَبِق عليه هذه التزكيات )) اهـ.

**قلتُ**: ويُؤَكِّدُ ذلك ما عليه مَدْرَسَةُ الأُرْدُن بما فيها، وعلىٰ رَأْسِها «**عَلِيٌّ الحَلَبِيُّ**»، فهل أَغْنَتْ عنهم تَزْكِيَةُ الإمامُ الألبانِيِّ لَهُم، وقُرْبُهُم منه ؟!

**أقول**: فما ظَنُّكُم بِمَنْ يتحايَلُ ؛ حتىٰ زَكَّاهُ بعضُ المشايخ، وليس عنده مِن العِلْم، أو الأخلاق، أو المنهجية ؛ ما يُؤَهِّلُهُ لهذه التزكية ؟! والعِبرةُ فِي الكلام والعُقُودِ بالمَقاصِدِ والمعانِي، لا بالألفاظِ والمَبانِي -علىٰ ما تقرَّرَ عند الفقهاء- أفلا يقال لِمِثْلِ مَن هذا حالُهُم: إنَّهُم لُصُوصُ التزكية، أصحابُ الأخلاق المُتَرَدِّية، المُتَشَبِّعُون بما لَمْ يُعْطَوْا، مَنْ ليس لَهُم أُذُنٌ واعِيةٌ للحَقِّ مُصْغِيَةٌ ؟!

### * فيا طلبةَ العِلْمِ العُقَلاءُ الغرباءُ القليلون :

اعلموا أنَّ الخُرُوجَ مِن هذا العَبَثِ الدَّعَوِيِّ، والهُرَاءِ التعليميِّ، والفسادِ العَقَدِيِّ، والتَّدَنِّي الأخلاقِيِّ ؛ إنَّما هو بالعِلْم الصحيح، فتَعَلَّموا واتَّقوا الله رَبَّكُم يرزقكم العِلْمَ النافِعَ، والفرقانَ الذي تَفْصِلُونَ به بين الحَقِّ والباطل.

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩].

* * * * *

«الكلمة الأخيرة»

# رسالة إلَى عُقَلاء أهْل السُّنَّة

روَى الإمام أحمد في مُسنده (٢٢٢٩٦) بسندٍ حسنٍ لراويه: أبي عبد الله مرزوق الحمصي، وَثَّقَهُ ابنُ شاهين وابنُ حبَّان، وقال ابنُ معين: لا بأس به، ورواه أبو داوُد في سُنَنه (٤٢٩٧) بسندٍ به صالح بن رستم الهاشمي، قال أبو حاتم: مجهول، ورواه البغويُّ في «شرح السُّنة» (٤١١٩) بسندٍ خلا مِن هذين الرَّاوِيَيْنِ، والحديث صحَّحه الألبانِيُّ في «الصحيحة» (٩٥٦)، وفي «صحيح الجامع» (٨١٨٣)، مِن حديث ثوبان، قال: قال رسولُ الله ﷺ : (( **يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عليكم كما تَدَاعَىٰ الأَكَلَةُ إلىٰ قَصْعَتِهَا** ))، قال قائلٌ: يا رسولَ الله، ومِن قِلَّةٍ نحنُ يومئذٍ ؟ قال: (( **لا ؛ بَلْ أنتم كثير ؛ ولَكِنَّكُم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْل، ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهَابةَ منكم، ولَيَقْذِفَنَّ فِي قُلوبكم الوَهْنَ** ))، فقال قائلٌ: يا رسول الله، وما الوَهْنُ؟ قال: (( **حُبُّ الدُّنْيا وكَراهِيَةُ المَوْت** ))٠

**قال البغويُّ في «شرح السُّنة»** (٧/ ٤١١) : (( الغُثاءُ: ما يَبِسَ مِن النَّبْتِ، فحَمَلَهُ الماءُ، فألقاهُ في الجوانب، يقال: غَثَا السَّيْلُ المَرْتَعَ: إذا جَمَعَ بعضَهُ علىٰ بعضٍ، وأَذْهَبَ حَلاوَتَهُ، وقولُهُ ﷻ : ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٥]، أيْ: جَعَلَهُ غُثاءً بعد أن كان أَحْوَىٰ، وهو الَّذي اشْتَدَّتْ خُضْرَتُهُ، وقولُهُ ﷻ : ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً﴾ [المؤمنون: ٤١]، أَيْ: أهلَكْناهُم فذَهَبْنا بِهم، كما يَذْهَبُ السَّيْلُ بالغُثاء )) اهـ٠

**قلتُ**: فبَعْدَ أن اشتدَّتْ خُضْرَةُ أهل السُّنة والجماعة، وعَلا منهجُهُم فِي القُرون الثلاثة الأُوَل، ودَانَتْ لَهُم الأُمَمُ، وخَضَعَ لَهُم الجَبابِرَةُ والطُّغاة، بِقُوَّةِ المُعْتَقَدِ، وصلاحِ التوحيد، والجمع بين القول والعمل، وخُلوصِ النِّيَّةِ للواحد الأَحَد، والسَّيْرِ علىٰ مِثْلِ ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؛ حيث هذا الذي ذُكِرَ هو عِلَّةُ العُلُوِّ، والثَّباتِ علَى الصِّراط، والتمكينِ في الأرض بإقامة شَرْعِ الله، والدَّعْوَةِ إلَى الله علىٰ بصيرة، والذَّبِّ عن السُّنة، والتحذيرِ مِن أهل الأهواءِ وتبيين مناهجهم، والْتِزَام السُّنة؛ فلمَّا ترَكَ أهلُ السُّنة ذلك؛ جُعِلُوا غُثاءً، وسُلِبُوا التَّمْكين٠

**قال أبو الطيب في «عون المعبود» (ح: ٤٢٩٧) :**

(( قوله: «**يُوشِكُ الأُمَمُ**» أيْ: يقرب فِرَقُ الكُفْرِ، وأُمَمُ الضَّلالة، أن يَدْعُوَ بعضُهُم بعضًا لِمُقاتَلَتِكُم، وكَسْرِ شَوْكَتِكُم، وسَلْبِ ما مَلَكْتُمُوهُ مِن الدِّيار والأموال، كما يَدْعُو أَكَلَةُ الطَّعام بعضُهُم بعضًا، يتناوَلُون مِن القصعة بلا مانعٍ ولا مُنازِع، فيأكلونَها عفوًا وصفوًا مِن غير تعب، كذلك يأخذون ما في أيديكم بلا تعب ينالُهُم، ولا ضررٍ يلحقهم، أو بأسٍ يمنعهم، وقوله: «**كغُثاء السَّيْل**»: ما يحمل السَّيْلُ مِن زَبَدٍ ووَسَخٍ ؛ شَبَّهَهُم به لِقِلَّةِ شجاعتهم، ودناءة قَدْرِهِم، «**ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهَابةَ منكم**» أي: الخوف والرُّعب مِن قلوبِهم، و«**الوَهْنُ**»: الضَّعْف، وهو: «**حُبُّ الدُّنْيا وكَراهِيةُ المَوْت**» مُتَلازِمانِ، فكأنَّهما شَيْءٌ واحدٌ يَدْعُوهُم إلىٰ إعطاءِ الدَّنِيَّةِ في الدِّين مِن العَدُوِّ المُبين! ونسأل الله العافية )) اهـ.

**قلتُ**: ولِأَنَّ العِبْرةَ بعُمُوم اللَّفظ، لا بخصوص السَّبَب، كما اتَّفَقَ عليه صحابةُ رسولِ الله ﷺ ومَن بَعْدَهُم مِن جمهور الأُصُولِيِّين ؛ فإنَّ عُمُومَ قوله ﷺ : (( **يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عليكم** ))، وقوله: (( **ولَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِن صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهَابةَ** ))؛ يعمُّ ويَتَنَزَّلُ علىٰ أهل الابتداع والأهواء مِن فِرَقِ المسلمين ؛ إذْ هُم أَشَدُّ خَطَرًا وعداوةً للمسلمين، وعلَى المسلمين، مِن الكُفَّار الأَصْلِيِّين ؛ لأنَّهم يُفْسِدُون فِي الأرض بِاسْم الدِّين.

## * تَدَاعِي أهل الأهواء والبدع علىٰ أهل السُّنة :

وإنَّ المُتأَمِّلَ فيما يَحْدُثُ علَى السَّاحَةِ الدَّعَوِية فِي الوطن الإسلامي؛ لَيَعْلَمُ عِلْمَ اليقينِ تَدَاعِيَ وتكالُبَ فِرَقِ الضَّلالةِ مِن الرَّوافِضِ المُجْرِمين، ومَن عاوَنَهُم وشايَعَهُم مِن أهل الابتداع والغُلُوِّ مِن فِرَقِ المسلمين المُنْحَرِفين عن الصِّراط المستقيم والمنهج القويم، الذين لا هَمَّ لَهُم إلَّا اسْتِئْصَالُ جُذُورِ أهل السُّنة والجماعة مِن واقِع الأُمَّة ؛ لِيَهْنَأُوا بِبِدَعِهِم وضَلالِهم الذي يُصَوِّرُونه للنَّاس أنَّهُ الحَقُّ، وساعَدَهُم علىٰ ذلك طائفةٌ مِن الخوارج المُجرمين مِن الدَّواعِش،

ومَن سارَ بِسَيْرِهِم الفَسَّادِ المُخَرِّبِ المُدَمِّرِ للأخضر واليابس، والذين هُم فِي ظاهِرِهم يَنْتَسِبُون لِأَهْلِ السُّنة والجماعة، ومِثْلُهم: الجماعاتُ الجهادية -زَعَمُوا- الذين كانوا سَبَبًا لِطَعْنِ أَهل الأهواء في أهل السُّنة ؛ بما أحدَثُوا مِن الإرهاب، الذين دَنَّسُوا اسْمَ السَّلَفِ والسَّلَفِيَّة بِانْتِسَابِهم إليهم ؛ إذْ سَمُّوا أَنْفُسَهُم: «السَّلَفِية الجهادية»، والسَّلَفُ والسَّلَفِيُّون منهم بُرَآءُ، بَرَاءَةً خالصةً، لا يَشُوبُها أَدْنىٰ تعكيرٍ أَلْبَتَّة، غير ما يُلَبِّسُون به علَى الناس بِهَدْيِهم الظاهر، مِن اللِّحَىٰ والقميص القصير، ولا يروج ذلك إلَّا علَى العَوامِّ، وقد عَلِمَ أهلُ اللُّغة أنَّ العَوَامَّ ما سُمُّوا كذلك إلَّا مِن العَمَىٰ، فلمَّا كانوا فِي عَمًى عن أمُور دِينِهم لُبِّسَ عليهم.

فقد رَوَى ابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ (٣٨٤٤٧)، فِي «كتاب: الفِتَن» عن حذيفة ابن اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَبِير الفِتَن، أنه قال لصاحبه: (( **أَمَّا تَعْرِفُ دِينَكَ يا أبا مسعود؟** ))، قال: قلتُ: بلىٰ، قال: (( **فإنَّها لا تَضُرُّكَ فِتْنَةٌ ما عرَفْتَ دِينَكَ، إنَّما الفتنةُ إذا اشْتَبَهَ عليك الحَقُّ والباطلُ، فلَمْ تَدْرِ أيهما تتبع ؛ فتلك الفتنة** )).

فعُلِمَ أنَّ النَّجاةَ مِن بَراثِنِ الفِتَنِ وأنيابِها ؛ لا تكونُ إلَّا بالعِلْم.

## * أهل الأهواء أشَدُّ خَطَرًا علَى الدِّين مِن اليهود والنصارىٰ:

والَّذي يؤكِّد خطورةَ أهل الأهواء مِن المسلمين علَى المسلمين، وأنَّهم أَشَدُّ خَطرًا مِن اليهود والنصارىٰ ؛ ما رواه الإمامُ ابنُ بَطَّةَ العُكْبَرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الإبانة الكبرىٰ» عن طوائف مِن السَّلَف، فمِن ذلك: ما رواه (٢٦١) عن الفُضَيْلِ بن عياضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

(( **مَنْ أتاهُ رَجُلٌ فشاوَرَهُ فدَلَّهُ علىٰ مبتدع ؛ فقد غَشَّ الإسلامَ، واحذَروا الدخول علىٰ أصحاب البدع ؛ فإنَّهم يَصُدُّونَ عن الحَقِّ** )).

ورَوَىٰ (٣٧٩) عن إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

(( **لا تُجالِسُوا أصحابَ الأهواء ؛ فإنِّي أخافُ أن تَرْتَدَّ قلوبكم** )).

ورَوَىٰ (٢٢٣) عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

(( **أهل الهوىٰ بمنزلة اليهود والنصارىٰ** )).

ورَوَىٰ (٤٤٠) عن يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

(( **ما أُبالِي سألتُ صاحبَ بدعةٍ عن دِيني، أو زَنَيْتُ !** ))٠

ورَوَىٰ (٤٧١) عن أَبِي الجَوْزَاء رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

(( **لأَنْ تُجَاوِرَنِي القِرَدَةُ والخنازيرُ في دار ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن أن يُجاوِرَنِي رَجُلٌ مِن أهل الأهواء، وقد دَخَلُوا في هذه الآية:** ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[آل عمران: ١١٩]))٠

وروىٰ ابنُ بَطَّةَ أيضًا في «الإبانة الكبرىٰ» (٣٩٩) عن مُفَضَّلِ بْنِ مُهَلْهَل رَحِمَهُ اللَّهُ قال:

(( **لو كان صاحبُ البدعة إذا جلستَ إليه يُحَدِّثُكَ ببدْعَتِهِ ؛ حَذَرْتَهُ وفَرَرْتَ منه، ولكنَّه يُحَدِّثُكَ بأحاديث السُّنة في بُدُوِّ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يُدْخِلُ عليك بِدْعَتَهُ، فلَعَلَّها تَلْزَمُ قَلْبَكَ، فمتىٰ تخرج مِن قَلْبِكَ؟!** ))، وهذا غَيْضٌ مِن فَيْض، وقليلٌ مِن كثيرٍ٠

وعليه ؛ فليس اللَّوْمُ علىٰ أهل الابتداع، فهُم لَمْ ولن يَكُفُّوا عن الطَّعْنِ في أهل السُّنة، ولا تُكِنُّ صُدُورُهُم لنا فِي كُلِّ زمانٍ ومكانٍ إِلَّا المَقْتَ والبُغْضَ والغِلَّ والكراهِيَة، فإذا كان ذلك كذلك ؛ فقد تعيَّنَ علىٰ جميع أهل السُّنة كُلِّهِم أن يجتمعوا علىٰ كلمةٍ سَواءٍ، علىٰ مِثْل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وصَحْبُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مُعْتَقَدًا وقولًا وعملًا ؛ حتىٰ يُثْمِرُ اجتماعُهم وحْدَةً سُنِّيَّةً سَلَفِيَّةً حقًّا، يتجَلَّىٰ فيها قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، بحيث يَسْتَقِرُّ لازِمُ هذه الآية ومُقْتَضاها جَزْمًا في جذر قلوب الرِّجال، وأهَمُّ الجهاد الواجب عليهم: جهاد النَّفْس، وكَبْح جماحِها لِتَسْتَقِيمَ علَى المنهج القويم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]٠

**قال القرطبي في تفسيره (١٣/ ٢٧٤) :**

(( قال أبو سليمان الدَّارَانِي: ليس الجهادُ في الآية قِتالَ الكُفَّار فقط ؛ بل هو نَصْرُ الدِّين، والرَّدُّ علَى المُبْطِلِين، وقَمْعُ الظالمين، وعُظْمُهُ: الأمر بالمعروف، والنَّهْيُ عن المُنكَر، ومنه: مُجاهَدَةُ النفوس في طاعة الله، وهو الجهادُ الأكبر )) اهـ٠

* **وأعظمُ الجهاد : بالحُجَّة والبيان :** كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥٠-٥٢]٠

**قال القرطبي في تفسيره** (٧/ ٤٧): ((﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ قال ابنُ عباسٍ: بالقرآن)) اهـ٠

لقد اجتمع أهلُ الابتداع والزَّيْغ والضَّلال علىٰ قلب رَجُل واحدٍ، وقد حَدَّدُوا هَدَفَهُم وغايَتَهُم، وجَمَعُوا سِهامَهُم ؛ لِرَمْيِ أهل السُّنة، وعَقَدُّوا علىٰ ذلك الوَلاءَ والبراءَ، والحُبَّ والبُغْض ؛ لَمَّا رَأَوْا غُثاءَ أهل السُّنة بعد عِزِّهِم٠

وأهلُ السُّنةِ أَوْلَىٰ منهم بإقامة الوَلاءِ والبراءِ والحُبِّ والبُغْضِ، الذي لا يكون عند أهل السُّنة والجماعة إلَّا فِي الله، وبالله، ولله، وعلىٰ أَمْرِ الله ورسوله ﷺ٠

فلمَّا أقامَهُ الكثيرُ مِمَّن يَنْتَسِبُون لِأَهْل السُّنة علىٰ أمُور دُنْيا وعَصَبِيَّة وحِزْبِيَّة جديدة قد دَبَّتْ فيهم ؛ أصابَهُم الوَهْنُ والتَّفَرُّقُ والتَّشَرْذُمُ، وأصْبَحُوا غُثاءً !

ولن يستقيمَ لِعامَّتِهم القيامُ بالحَقِّ إلَّا بتقديم الكتاب والسُّنة علَى النَّفْسِ والأَهْل، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحُجُرات: ١]، فكَمْ تَلاها وسَمِعَها الكثيرُ مِن أهل السُّنة ؛ ولكن هل عَلِمُوا فِقْهَها ؟! وإنْ عَلِمُوهُ ؛ فهل عَمِلُوا به، وأَلْزَمُوا به أنفُسَهم ؟!

فهذا محلُّ النِّزَاع !! أيْ: عند المَحَكِّ العَمَلِيِّ لِامتثال مُقْتضَى الآية٠

**قال الحافظُ ابن كثير في تفسيره** (٧/ ٢٣٣) : (( هذه آدابٌ أَدَّبَ اللهُ بِها عِبادَهُ المؤمنين فيما يُعامِلُون به الرسولَ ﷺ مِن التوقير والاحترام والتَّبْجِيل والإعظام، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ أيْ: لا تُسارِعُوا فِي الأشياء بين يديه، أي: قبله ؛ بل كونوا تبعًا له فِي جميع الأمُور، قال ابن عباس:﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾: لا تقولوا خِلافَ الكتاب والسُّنة، وقال الضَّحَّاك: لا تَقْضُوا أَمرًا دون الله ورسوله مِن شرائع الدِّين، وقال سُفْيان الثَّوْرِيُّ: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بقَوْلٍ ولا فِعْل، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما أَمرَكُم به، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ أيْ: لِأَقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بِنِيَّاتِكُم)) اهـ٠

**وقال السعدي في تفسيره (ص٧٩٩) عند هذه الآية** : (( فأمَرَ اللهُ عِبادَهُ المؤمنين بما يقتضيه الإيمانُ بالله وبرسوله ﷺ : مِن امتثال أوامر الله واجتناب نَواهِيه، وأن يكونوا ماشِينَ خَلْفَ أوامر الله، مُتَّبِعين لِسُنَّةِ رسول الله ﷺ في جميع أمُورِهِم، وأن لا يتقدَّموا بين يدي الله ورسوله، ولا يقولوا حتىٰ يقول، ولا يأمروا حتىٰ يأمر ؛ فإنَّ هذه حقيقة الأدَب الواجب مع الله ورسوله، وهو عُنوان سعادة العبد وفَلَاحِهِ، وبِفَوَاتِهِ تَفُوتُ السعادةُ الأَبَدِيَّةُ والنعيمُ السَّرْمَدِيُّ .

وفي هذا: النَّهْيُ الشديدُ عن تقديم قولِ غير الرسول علىٰ قوله ؛ فإنَّه مَتَى اسْتَبانَتْ سُنةُ رسول الله ﷺ وَجَبَ اتِّباعُها وتقديمُها علىٰ غيرها، كائنًا ما كان ومَن كان )) اهـ .

**قلتُ**: وعلىٰ غِرار هذه الآية: ما رواه البخاريُّ في صحيحه (١٤، ١٥) عن أنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (( **فوالَّذي نفسي بيده، لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حتىٰ أكون أَحَبَّ إليه مِن والِدِهِ، ووَلَدِهِ، والنَّاسِ أجمعين** )) .

والمعنىٰ: ويُلْزِمُهُ حُبِّي بتقدِيم قَوْلِي علَى الناس أجمعين .

**وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في «العقيد الواسطية» (ص٣٤)** :

(( ثُمَّ مِن طريقة أهل السُّنة والجماعة: اتِّباعُ الرسول باطنًا وظاهِرًا، واتِّباعُ سبيل السابقين الأَوَّلِين مِن المهاجرين والأنصار، واتِّباعُ وَصِيَّة رسول الله ﷺ حيث قال: «**عليكم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلفاء الرَّاشِدِين المَهْدِيِّين مِن بعدي، تمَسَّكُوا بِها، وعضُّوا عليها بالنَّواجِذ، وإيَّاكُم ومُحْدَثاتِ الأمور ؛ فإنَّ كُلَّ بدعةٍ ضلالة**»[(١)]، ويعلمون أنَّ أَصْدَقَ الكلام كلامُ الله، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ ، ويُؤْثِرُون كلامَ اللهِ علىٰ غيره مِن كلام أصناف الناس، ويُقَدِّمُون هَدْيَ محمد ﷺ علىٰ هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ، ولِهَذا سُمُّوا أهلَ السُّنة، وسُمُّوا الجماعة ؛ لأنَّ الجماعةَ هي الاجتماع، وضِدها: الفُرْقَةُ .

والإجماعُ هو الأصل الثالث الذي يُعْتَمَدُ عليه فِي العِلْم والدِّين .

---

(١) رواه أحمد فِي «المسند» (١٧٠٧٩)، والترمذي فِي سُنَنه (٢٦٧٦) وقال: «حديثٌ حَسنٌ صحيحٌ»، والحاكم فِي «المستدرك» (٣٢٩) وقال: «حديثٌ صحيحٌ، ليس له عِلَّة»، ووافقه الذَّهَبِيُّ تمامًا .

وهُم يَزِنُونَ بهذه الأصول الثلاثة جميعَ ما عليه الناسُ مِن أقوالٍ وأعمالٍ باطنةٍ وظاهِرَةٍ ممَّا له تَعَلُّقٌ بالدِّين )) اهـ.

**قلتُ**: ومُرَادُهُ بالأصول الثلاثة: الكتاب، والسُّنة، والإجماع.

فهذه المَعانِي المُجْمَعُ عليها، بلا خِلافٍ فيها أَلْبَتَّةَ ؛ قد غابتْ عن الكثير مِن أهل السُّنة، وغيابُها هو السَّبَبُ الرَّئيسُ في ضَعفهم وتَفرُّقِهم حتىٰ صاروا غُثاءً، قال تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩].

**قال الحافظ ابن كثير في تفسيره** (٧/ ٣٨) : (( قال الحسنُ البصريُّ: «واللهِ، ما تَدَبُّرُهُ بحفظِ حُرُوفهِ وإضاعةِ حُدُودِهِ، حتىٰ إنَّ أَحَدَهُم لَيقولُ: قرأتُ القُرآنَ كُلَّهُ ؛ ما يُرىٰ له القُرآنُ فِي خُلُقٍ ولا عمل» رواه ابنُ أبي حاتم )) اهـ.

وذلك لأنَّ العِبْرةَ بالفعل، لا بالقول المُجَرَّد، لذا قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣].

**قال الراغب في «المفردات»** (ص٤٧١) : (( المَقْتُ: البُغْضُ الشديد لِمَن تراهُ تعاطَى القَبيح ، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٢٢] ، وكان يُسَمَّىٰ تَزَوُّجُ الرَّجُل امْرَأَةَ أَبِيه: نِكاحَ المَقْت )) اهـ.

فلقد أَخَذَ الكثيرُ مِن أهل السُّنة بأسباب المَقْتِ مِن الله تعالىٰ، فماذا بعد ؟! يَحُلُّ علينا ما حَلَّ علَى أهل الأرض ؛ فقد روىٰ مسلمٌ في صحيحه (٢٨٦٥)، مِن حديث عِياضِ بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال ذاتَ يوم في خُطْبَتِهِ: (( ... **وإنَّ الله نَظَرَ إلىٰ أهل الأرض فمَقَتَهُم، عَرَبَهُم وعَجَمَهُم ؛ إلَّا بقايا مِن أهل الكتاب** )) الحديث.

**قال النووي في «شرح صحيح مسلم»** (١٧/ ١٤٥) :

(( المَقْتُ: أَشَدُّ البُغْض، والمُرادُ بهذا المَقْتِ والنَّظَرِ ما قبل بعثة رسول الله ﷺ ، والمُرادُ ببقايا أهل الكتاب: الباقون علَى التَّمَسُّك بدِينهم الحَقِّ مِن غير تبديل )) اهـ.

وعليه ؛ فبِقَدْرِ تَفَلُّتِ المنهج، وعدم الثبات علىٰ مِثْل ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ؛ بِقَدْرِ ما يُصِيبُ العبدَ المَقْتُ والبُغْضُ الشديدُ مِن الله !!

ومَن مِنَّا يَقْدِرُ علىٰ غضب الله ؟!

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦]، والمعنىٰ: فلمَّا أغضبونا بمعصيتهم لله ورسوله موسىٰ عليه السلام -والكلامُ عن فرعون وقومه- أَهْلَكَهُمُ اللهُ بالغَرَق.

**وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٥٧) :**

(( وعامَّة هذه الضلالات إنَّما تَطْرُق مَن لَمْ يعتصم بالكتاب والسُّنة، كما كان الزُّهْرِيُّ يقول: «كان عُلَماؤنا يقولون: الاعتصام بالسُّنة هو النَّجاة» .

وقال مالكٌ: «السُّنةُ سفينةُ نُوح، مَن رَكِبَ نَجَا، ومَن تَخَلَّفَ غَرِقَ» )) اهـ.

فإنْ عَلِمَ السُّنِّيُّ ذلك كُلَّهُ، وأَصَرَّ علىٰ ما هو عليه مِن الزَّيْغ والانحرافِ الأخلاقيِّ؛ فهو كما قال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه فيما رواه ابنُ بَطَّةَ في «الإبانة الكبرىٰ» (٥٥) : (( **الهوىٰ عند مَن خالَفَ السُّنةَ حَقٌّ ؛ وإنْ ضُرِبَتْ فيه عُنُقُهُ** )).

وروىٰ أبو نُعَيْم في «حلية الأولياء» (٨٤٥٥)، عن التابعيِّ الجليل العالِم عطاء بن رَباح رحمه الله أنه قال: (( **بَلَغَنا أنَّ الشَّهْوَةَ والهوىٰ يغلبانِ العِلْمَ والعَقْلَ والبيان** ))، فنعوذ بالله مِن الضَّلال بعد الهُدَىٰ، ومِن الزَّيْغِ بعد الاستقامة، ومِن الابتداع بعد السُّنة.

## * ثُمَّ أَمَّا بعدُ: فيا أهلَ السُّنة :

اتَّقُوا الله، واعْتَصِموا بحَبْلِه، واصبروا علَى السُّنةِ: أَمْرِها ونَهْيِهَا، واعلموا أنَّ الأَمْرَ عظيمٌ جَلَلٌ، وأنَّ ما يَحْدُثُ مِن مُجْرَياتِ الأمُور علَى السَّاحة الدَّعَوِيَّة ؛ لا يُنْبِئُ إلَّا بِكُلِّ سُوءٍ وشَرٍّ، وأنَّكم لو لَمْ تَتَقَوَّوْا بالله لَأَهْلَكَكُم وسَلَّطَ عليكم أَرَاذِلَ المبتدعة، وإنَّما يكون التَّقَوِّي بالله في: طاعتِه، والالْتِزام بِدِينِه، وإقامةِ شَرْعِه، والذَّبِّ عن سُنَّةِ رسوله ﷺ، وتوحيدِ الهَمِّ في ذلك فحَسْب، فَلا نجاةَ ولا مناصَ لنا جميعًا إلَّا بالرُّجُوع للكِتَاب والسُّنة بفَهْم وهَدْيِ سَلَفِ الأُمَّة، فلا تَلُومُوا أهلَ الأهواء علىٰ تكالُبِهم علينا ؛ بل أصلِحوا الخَلَلَ الذي فيكم بتَقْوَى الله يجعل لكم المَخارِج، لا أنْ تَتَحَكَّمَ فيكم الأهواءُ والأَطْماعُ، ويَنْطِقُ فيكم الرُّوَيْبِضَة ! بل بالاعتصام بالكتاب والسُّنة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقال ﷻ : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، فهذه الآياتُ تكفي ذا اللُّبِّ لو تدبَّرَها وفَقِهَها وعَمِلَ بمُقْتَضاها، أمَّا أنْ يَتْلُوَها ويَحْفَظَها ويُحَفِّظَها غَيْرَهُ، وهو بعيدٌ عن لَوَازِمِها ومُقْتَضَياتِها ؛ فقد ضَلَّ ضَلالًا بعيدًا، ومِن هُنا يأكُلُ أهل السُّنةِ بعضُهم بعضًا، وتتآكَلُ دَعْوَتُهُم !

* وها أنا ذا أُنادِي علىٰ كُلِّ رَجُل يتكلَّم في دِين الله، ويدعو إليه، مِن أهل السُّنة: أنْ يَنْظُرَ إلىٰ مَن حَوْلَهُ مِن بطانتِهِ، ويراقِبَهم، ويتقَصَّىٰ أقوالَهم وأفعالَهم وتَصَرُّفاتِهم، ويَأْطُرَهُم أَطْرًا علَى المنهج القويم والصراط المستقيم ؛ إذْ هُم جَدِيرون بإسقاطك وإفساد دعوتك وأنت لا تشعر ! فغالِبُ طَلَبة العِلْم لا يعرفون مِن آداب طلب العِلْم ما يجعلهم فِي مَأْمَنٍ مِن الزَّيْغِ والانحراف، فتوَجَّبَ علىٰ كُلِّ شيْخٍ يدعو إلىٰ السُّنة أنْ يُؤَدِّبَ طُلَّابَهُ، ويُنْقِذَهُم مِن بَراثِنِ التَّعَصُّبِ المَمْقُوتِ البغيض، والتقليدِ الأعمَى السَّفِيه، الذي يُوَلِّدُ بينهم البغضاءَ والشَّحْناءَ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة: ١٤] ، وقال ﷻ : ﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧١]٠

ولقد غَفَلَ الكثير مِن أهل السُّنة عن الدِّفاع عن السُّنة مِن أبناءِ أهل السُّنة ممَّن حَوْلَهُم، الذين يُفْسِدُون ويُخَرِّبون -ورَبِّ الكَعْبَةِ- الدِّيانَةَ قُرْآنًا وسُنَّةً !! فخَطَرُهُم أَعْظَمُ مِن خَطَرِ المُبْتَدِعَة، أَلَمْ يَقُلْ رسولُ الله ﷺ في الحديثِ المُتَّفَقِ عليه: (( **الحَمْوُ المَوْتُ** ))[1] ؟!

فإنَّ الخَطَرَ الآتِيَ مِن القريب أَعْظَمُ، أمَّا البعيدُ فبالفِطْرَةِ الحَذَرُ منه يكون٠ وبَشاعةُ هذا الخطر أنَّ مَن حَوْلَكَ يُفْسِدُون دَعْوَتَكَ، تارةً بحُبِّهم الشديد لك، مع جهلهم بعواقب الأمور وقِلَّةِ عِلْمِهم بمَسائل الشريعة، وتارةً بمَكْرٍ وخُبْثٍ وحِيَلٍ يَرْجُون بها شُهْرَةً ورِياسَةً علىٰ حساب دَعْوَتِكَ، وهُم فِي طريقهم إلىٰ ذلك ينقُضون عُرَى الإسلام والسُّنة نَقْضًا !

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢)٠

فعَلِّمْهُم أنَّكَ بَشَرٌ تُخْطِئُ وتُصِيب، فإنْ أخطأتَ فلا يُدافِعُوا عنك في الباطل ؛ بل الأَحْرَىٰ بك أن تَخْرُجَ علَى الناس مُعْتَرِفًا بِزَلَّتِكَ، مَعْذَرَةً إلى الله، وبراءةً مِن اتِّباعِكَ علَى الخطإ، فمَن دافَعَ عنك في خطئك زَجَرْتَهُ وأَدَّبْتَهُ ؛ لِئَلَّا يتَّخِذُوكَ إلٰهًا مِن دُونِ الله، وهذا هو الذي يقوله أهلُ الأهواء وطَلَبَتُهم علىٰ طُلَّاب أهل السُّنة المُتَعَصِّبين المُقَلِّدِين لِمَشايخهم التقليدَ الأعمىٰ؛ يقولون: هؤلاء يعبدون مشايخَهُم، كما قال تعالىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]٠

**يا أهلَ السُّنة:** تكلَّموا فيما تُحْسِنُونَهُ يُبارِك الله لكم في دَعْوَتِكُم وتُثْمِر العِلْمَ النافع٠

**يا أهلَ السُّنة:** اتَّقُوا الله فِي أنفُسِكُم، وفِي طُلابكم مِن طلبة العِلْم الصِّغار المُتَرَنِّحِين الذين لا يَدْرُون أين يذهبون، وأين يجيئون، فأنتم مُؤْتَمَنُونَ عليهم، كما قال رسولكم ﷺ : (( **المُسْتَشارُ مُؤْتَمَنٌ** )) [«المقاصد الحسنة» (ح: ١٠١٧)]٠

**يا أهلَ السُّنة:** الأمرُ جدُّ خطير، وإن لَمْ نَسْتَقِمْ علَى الجادَّةِ الحَقَّةِ قولًا وعَمَلًا، ونُطَهِّرْ أنفُسَنا وقلوبَنا مِن كُلِّ خَلَلٍ جَلِيٍّ وخَفِيٍّ ؛ لَأَهْلَكَنا اللهُ وأَذَلَّنا وسَلَّطَ علينا أراذِلَ خَلْقِهِ مِن المبتدعة، فيُدِيلهم علينا، ويُمَكِّنهم مِنَّا ؛ لِتقصيرنا في أمانة التبليغ وبيان الحَقِّ، فقد قال تعالىٰ: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]٠

**يا أهلَ السُّنة:** إنَّ فيكم مَن يُفْسِدُ السُّنةَ بِاسْمِ الدَّعْوَةِ إلَى السُّنة ! فكُفُّوهُ واتقوا الله !

**يا أهلَ السُّنة:** النَّظَرُ إلَى المصلحة العامَّة، وتقديمها علَى المصلحة الخاصَّة ؛ أصلٌ أصيلٌ مِن أصول هذا الدِّين، فلا تَهدموه بحُبِّ النَّفْس وتقديمِها علَى الجماعة، فقد اتَّفَقَ العلماءُ علىٰ قاعدةٍ كُلِّيةٍ، نَصُّها: «**يُتَحَمَّلُ الضَّرَرُ الخاصُّ؛ لِدَفْعِ ضَرَرٍ عامٍّ**»، فلا ينظُر المَرْءُ منكم إلىٰ مَنْزِلَتِهِ ورُتْبَةِ نفسِهِ الدَّعَوِية، فتدفعه نفسُهُ لإيثارها علَى الدعوة إلَى الله علىٰ بصيرة، وأُعِيذُكُم باللهِ مِن الأَثَرة وحُبِّ الظُّهُور والشُّهْرَة، فقد أَجْمَعَ سَلَفُكُم علىٰ أنَّهُ ما أَحَبَّ الشُّهْرَةَ تَقِيٌّ ؛ بل قال نَبِيُّكُم ﷺ : (( **إنَّ الله يحب العبدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ** )) [رواه مسلم في «كتاب الزهد والرقائق» (٢٩٦٥)]٠

**يا أهلَ السُّنة:** لا يخلو مسجدٌ مِن طالب عِلْمٍ يُفْسِدُ في الدعوة إلَى الله، فكُفُّوا صِبْيانَكُم عن العَبَث، وانْتَبِهُوا لِشَرِّهم ؛ فإنَّهُم يخرقون السَّفينةَ في لُجَجِ البحار !

**يا أهلَ السُّنة:** ما نَظَرَ رسولكم ﷺ إلىٰ تكالُبِ أهل الشِّرْكِ علَى الإسلام والمسلمين ؛ ولكن نَظَرَ إلىٰ قلوب المسلمين، وأَمَرَهُم بإصلاحها ؛ فَبِصَلاحِها يُدافع الله عن الذين آمَنُوا، فحذَّرَهُم مِن الشِّرْكِ الخَفِيِّ، وأَمَرَهُم بالعدل والإحسان والأمانة والصدق والإخلاص.

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

**يا أهلَ السُّنة:** وَحِّدُوا الهُمُومَ علىٰ هَمٍّ واحدٍ: تبليغ الدِّيانة، والدِّفاع عنها، ومُحارَبة البدع وأَهْلِهَا.

**يا أهلَ السُّنة:** قد سُحِبَ بساطُ الدَّعوة مِن كثيرٍ مِن أهل السُّنة، ومُنِعُوا مِن التدريس والخطابة، وهذا أمرٌ مُحتمَلٌ حُدُوثُهُ لِأَيِّ أَحَدٍ مِنَّا، فاتَّقُوا الله وقُولُوا قولًا سَدِيدًا، وانظُروا في حالِكم، ولا تثأَرُوا إلَّا لِدِينِ الله عَزَّ وَجَلَّ ، لا لِأَنْفُسِكم.

**يا أهلَ السُّنة:** ألَا تَذْكُرُون مِحْنةَ القول بخَلْقِ القُرآن، وتفصيلها، وما حَدَثَ فيها مِن عُلُوِّ صوت أهل الأهواء، وتمكينهم في الأرض سنين، وقَدْر البلاء الذي ابْتُلِيَ به أهلُ السُّنة، وعلىٰ رأسهم إمامُ المِحْنة: أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ وإخوانه مِن العلماء ؟!

فلا يلومنَّ المُقَصِّرُ إلَّا نَفْسَهُ ؛ ولكنَّ أَثَر تقصيره عامٌّ علَى الجميع.

قال تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم: ٥٨].

واللهُ لا يكْشِفُ الغُمَّةَ ويُذْهِبُ بالمُلِمَّة إلَّا بأسبابٍ شرعية، قد مَرَّ ذِكْرُها، ومَن يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين، ومَن لا يرَىٰ ما ذُكِرَ، ولا يشعُر به ؛ هَلَكَ !

**ولا يَسَعُنِي فِي هذا السِّياقِ إلَّا أن أَخْتِمَ بِهذه الآية الجامعة :**

قال تعالىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ﴾ [النور: ٥٥].

**قال السعدي في تفسيره** (ص٥٧٣) : (( هذا مِن وُعُودِهِ الصادقة التي شُوهِدَ تأويلُها ومَخْبَرُها، فإنَّهُ وَعَدَ مَن قامَ بالإيمان والعمل الصالح مِن هذه الأُمَّة أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هُم الخُلفاءُ فيها، المُتَصَرِّفِين في تدبيرها، وأنه يُمَكِّنُ لَهُم دِينَهُم الذي ارْتَضَىٰ لَهُم، وهو دِينُ الإسلام الذي فاقَ الأديانَ كُلَّها، ارْتضاهُ لهذه الأُمَّة لِفَضْلِهَا وشَرَفِها ونعمتِهِ عليها بأن يتمكَّنوا مِن إقامته وإقامة شرائعه الظاهرةِ والباطنة، في أنفسهم، وفِي غيرهم ؛ لِكَوْنِ غيرهم مِن أهل الأديان وسائر الكُفَّار مغلوبين ذَلِيلين، وأنه يبدِّلهم مِن بعد خوفهم، الذي كان الواحدُ منهم لا يتمكَّنُ مِن إظهار دِينِهِ وما هو عليه إلَّا بأذًى كثيرٍ مِن الكُفَّار، وكون جماعة المسلمين قليلين جِدًّا بالنِّسبة إلىٰ غيرهم، وقد رَماهُم أهلُ الأرض عن قوسٍ واحدةٍ، وبغوا لهم الغوائل، فوَعَدَهُمُ اللهُ هذه الأمورَ وَقْتَ نُزُولِ الآية، وهي لَمْ تشاهد الاسْتِخْلافَ فِي الأرضِ والتَّمكينَ فيها ... فقام صَدْرُ هذه الأُمَّة مِن الإيمان والعمل الصالح بِمَا يَفُوقُون علىٰ غيرهم، فمَكَّنهم مِن البلاد والعِباد، وفُتِحَتْ مَشارِقُ الأرض ومَغارِبُها، وحَصَلَ الأمْنُ التَّامُّ، والتمكينُ التَّامُّ ... ولا يزال الأمرُ إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح؛ فلا بُدَّ أن يوجد ما وَعَدَهُمُ الله، وإنَّما يُسَلِّطُ عليهم الكُفَّارَ والمُنافِقِين، ويُدِيلُهُم فِي بعض الأحيان ؛ بِسَبَب إخْلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح )) اهـ.

هذا، وبالله التَّوفِيقُ والسَّدادُ والرَّشادُ والثباتُ علَى الأمر الأَوَّلِ إلىٰ مَمَاتِ العِباد.

وآخِرُ دَعْوانا أَنِ الحمدُ لله رَبِّ العالَمِين، وصَلَّى اللهُ علىٰ نبيِّنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

وكَتَبَهُ :

**د/ عِيدُ بْنُ أبي السُّعُودِ أَحْمَد مُحَمَّد الْكَيَّال**

وكان الانتهاء منه قُبَيْلَ فجر يوم الجمعة ١١/ صَفَر/ ١٤٣٧هـ ، الموافق ١١/ ١١/ ٢٠١٦م عزبة الهجَّانة ، مدينة نصر ، القاهرة ، مصر حَفِظَهَا اللهُ وسَلَّمَها مِن كُلِّ سُوء

# فهرس

○ مقدمة ........................................ ٣
**❋ الكلمة الأُولى: مَعالِم دعوة تتآكل، بل تُنحَر !!** ........................ ٦
○ بيان الأصول التي تقوم عليها الدعوة إلَى الله علىٰ بصيرة ............ ٧
- الأصل الأول: أن تقوم الدعوة علَى العِلْم ........................ ٧
- الأصل الثانِي: أن تقوم الدعوة علَى التوحيد ...................... ١٠
-- الدعوة إلىٰ توحيد منبع الاستدلال ............................ ١٠
-- الدعوة إلىٰ توحيد الفهم ...................................... ١٠
-- الدعوة إلىٰ توحيد الجماعة .................................... ١١
--- معنَى الجماعة .............................................. ١١
○ دعوةٌ تُنْحَر ! ................................................. ١٢
○ عبثٌ رهيب ! .................................................. ١٣
**❋ الكلمة الثانية: أمانة التبليغ** ................................. ١٦
○ الثغرات التي تُؤتىٰ منها الدعوة إلَى الله ........................ ٢١
- ثغرة التكفير والخروج علَى الحُكَّام والتحزُّب ...................... ٢١
- ثغرة العلمانية والليبرالية ........................................ ٢١
- ثغرة التصوُّف ................................................. ٢٢
- ثغرة المواطنة ورفع شعار التجميع الْمُطْلَقِ ....................... ٢٢
- ثغرة التمييع والوهن والضعف في تطبيق شريعة الفرقة الناجية ........ ٢٢
○ مُرتزقة طلبة العِلْم الجهلاء يُصنِّفون الناس !! ....................... ٢٣
**❋ الكلمة الثالثة: تمييع حتَّى النخاع !!** ........................... ٢٥
○ بيان كيفية ذهاب الدين ........................................ ٢٥
○ لن تلقَى الله بعمل يُشبه التكلُّم في أهل الأهواء ................... ٣٠
○ مثالٌ عمليٌّ حزين ! ............................................ ٣٢

* **الكلمة الرابعة: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾** ..... ٣٥
○ التكلُّم فِي أهل الأهواء وبيان حالهم بالاسم والرسم مِن أجَلِّ العبادات، وبه يُعرَف السُّنِّيُّ مِن التمييعيِّ، وهو واجبٌ بالكِتاب والسُّنة والإجماع ..... ٣٨
○ خداعٌ متَّصلٌ، ومنهج منكسرٌ منفصل ! ..... ٤١
○ أمرٌ جَلَلٌ عظيم ! ..... ٤٢
○ أيها المذكورون الموصوفون ! ..... ٤٣
○ أيها المُمَيِّعون المُخَنَّثُون الدَّجَّالُون مِمَّن يتكلم فِي دِين الله !! ..... ٤٤
○ والمصيبة حق المصيبة ..... ٤٥
* **الكلمة الخامسة: الهَمَجُ الرَّعاع ، و دِفَّةُ الدعوة !** ..... ٤٦
○ الناس ثلاثة أقسام ..... ٤٦
- العالِمُ الرَّبانِيُّ ..... ٤٦
- المتعلم علىٰ سبيل النجاة ..... ٤٧
- القسم الثالث ..... ٤٧
-- بيان صفات الهَمَج الرَّعاع وأخلاقهم وأحوالهم ..... ٤٩
○ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ ..... ٥١
○ قُطَّاعُ الطريق إلَى الله ..... ٥١
* **الكلمة السادسة: مكتبة الجُبِّ ، وقلم الشَّظِيَّة !** ..... ٥٤
* **الكلمة السابعة: طلبة العِلْم بين التزكية والتذكية !** ..... ٥٧
○ شروط التصدُّر للتكلُّم في دِين الله ..... ٥٧
○ أصول الأحكام في الشرع أربعة ..... ٥٨
○ لصوص التزكيات ..... ٦١
○ رسالتي لأبنائي مِن طلبة العِلْم ..... ٦٣
○ رسالتي لِمَن زَكَّىٰ مَن لَمْ يستحقَّ التزكية ..... ٦٣
○ حال الساكت أحد رَجُلَيْن ..... ٦٣
○ الشخصُ تُزَكِّيهِ أعمالُهُ وأقوالُهُ ..... ٦٤

○ يا طلبة العِلْم العُقلاء الغرباء القليلون ! ..... ٦٥
* **الكلمة الأخيرة: رسالة إلى عقلاء أهل السُّنة** ..... ٦٦
○ تَدَاعِي أهل الأهواء والبدع علىٰ أهل السُّنة ..... ٦٧
○ أهل الأهواء أَشَدُّ خَطَرًا علَى الدِّين مِن اليهود والنصارىٰ ..... ٦٨
○ أعظم الجهاد: بالحُجَّة والبيان ..... ٧٠
○ ثُمَّ أمَّا بعد: فيا أهلَ السُّنة ! ..... ٧٣
* فهرس الكتاب ..... ٧٨

* * * * *

# صَدَرَ حديثًا

- **أثر القواعد الأصولية فِي تصحيح الْمُعتَقَد ورَدِّ شُبَهِ الْمُنْحَرِفين**

(( رقم ٢٣ من سلسلة تصحيح المعتقد ))

- **الدليل الْمُختار علَى أنَّ الاعتبار فِي الحكم علَى الرجال بالعاقبة والْمآل لا بما كان فِي بداية الحال**

(( رقم ٢٤ من سلسلة تصحيح المعتقد ))

- **إثبات الحُجَّة فِي بيان أنَّ حديث الْمُسِيء فِي واجبات الصَّلاة هُوَ الْمَحَجَّة**

(( رقم ٧ من سلسلة الأبحاث الفقهية الأصولية السَّلَفِية ))

- **الفِلَذُ شرح النُّبَذ فِي أصول الفقه «للإمام ابْنِ حزمٍ الظاهريِّ»**

(( رقم ٨ من سلسلة الأبحاث الفقهية الأصولية السَّلَفِية ))